جريمة التفاوض على القدس

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٥١

الوعـــي

العدد (١٥١) ـ السنة الثالثة عشرة ـ شعبان ١٤٢٠هـ ـ كانون الأول ١٩٩٩م

الاستدلال بالمصلحة (٢)

واقع المصارف اللاربوية (١)

نظرية المؤامرة

سوق البترول وأسباب تدني الأسعار

السببية

مسرى النبي ﷺ

(قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة الثالثة عشرة – ١٥١

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران – بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالا

إقرأ في هذا العدد (١٥١)

ص

- ❑ كلمة الوعي: نظرية المؤامرة ٣
- ❑ الاستدلال بالمصلحة (٢) ٥
- ❑ جريمة التفاوض على القدس ٩
- ❑ واقع المصارف اللاربوية (١) ١٣
- ❑ مع القرآن الكريم: الأخوة الإسلامية ١٦
- ❑ أخبار المسلمين في العالم ١٨
- ❑ في رحاب السيرة النبوية الشريفة:
  صلح الحديبية ٢١
- ❑ صحابيات حول الرسول: سمية أم عمار ٢٣
- ❑ السبية ٢٤
- ❑ سوق البترول وأسباب تدني الأسعار ٢٨
- ❑ مسرى النبي ﷺ (قصة) ٣٣
- ❑ كلمة أخيرة: نقيق الضفادع وسراب
  يسار الشرق ٣٥

إلى السادة الكتاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : Canada
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www. al-waie.org

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا U.S.A
AL - WAIE
P.O.Box 370782
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

نظرية المؤامرة

كثير من الناس، من أعداء الأمة ومن أبنائها المثقفين ثقافة غربية، يتهمون الأمة الإسلامية بأنها مصابة بما يسمى نظرية المؤامرة، ويعنون بذلك أن الأمة تفسر ما يواجهها من مشكلات في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والحرب والحكم وغيرها بأنها مؤامرات تحيكها دول الكفر، وهم يعتبرون ذلك ضرباً من الأوهام، مبعثه التفسير العام الخاطئ للأحداث من منطلق النظرية التآمرية، وأنها إنما تفعل ذلك للتخلص من مسؤولياتها، وتغطية تقصيرها، وتعليق فشلها بالآخرين.

صحيح أنه لا يستقيم أن تفسر الأحداث تفسيراً عاماً، بغض النظر عن المكان والزمان والتفصيلات إذ إن لكل حدث خصوصيته التي يتفرد بها عن غيره، ولو كان من جنسه، وصحيح أن الأمة مقصرة في تحمل مسؤولياتها، وتغيير واقعها السيئ، ولن ينجو عند الله من إثم هذا التقصير إلا من عمل للتغيير بالطريقة الشرعية، إلا أن تقصيرها لا يعفي المتآمرين، ولا ينفي وجود المؤامرات. والذين يروجون لهذه الفكرة يخدمون المتآمرين بحسن نية أو بسوء نية. فحياة الأمة الإسلامية ملأى بالمؤامرات يحيكها الكفار ضدها، وينفذها الحكام في بلاد المسلمين، بالتعاون مع زمرهم، ومع ضعاف النفوس الذين يعتاشون على فتات موائدهم.

ألم ير هؤلاء (الأذكياء) أن الإنجليز هدموا دولة الخلافة بالتآمر مع الكماليين ويهود الدونمة والقوميين من الأتراك والعرب، وعلى رأسهم صاحب الرصاصة الأولى. فإن لم تكن هذه مؤامرة، بل مؤامرة القرن، فماذا يسمونها؟

ألم ير هؤلاء أن بريطانيا وأميركا وفرنسا زرعت إسرائيل في قلب الأمة، وأنها ما زالت ترعاها، وتمدها بأسباب الحياة والبقاء والتفوق، وتعمل على استساغة وجودها، وتحقيق الاعتراف بها من قبل أهل المنطقة، بالتعاون مع الحكام الذين نصبوهم، والقيادات التي ما فتئوا يسخرونها لتحقيق هذه الغاية. فإن لم تكن هذه مؤامرة، فما هو تعريف المؤامرة عندهم؟

ألم يروا أن هذه الدول المستعمرة والطامعة قد جزّأت الأمة إلى أكثر من خمسين كياناً، ورسمت لهذه الكيانات حدوداً وهمية، وسمت ذلك استقلالاً، واعترفت بهذه الكيانات، وضمتها لهيئة الأمم، وجندت جيوشاً وظيفتها المحافظة على هذه الحدود وتكريس فرقة المسلمين، وقمع كل محاولة مخلصة لتغيير هذا الواقع المرير. وإلى جانب هذه الجيوش، أقاموا جيوشاً أخرى من المخابرات الجاثمة على صدر الأمة، ترعبها وتقمعها وتمنعها حتى من مجرد التظلم وقول الحق، حتى صار البعض يفر من ظلم ذوي القربى إلى أحضان أعدائه في أوروبا وأميركا.

ألم يروا أن الدول الاستعمارية حيثما استعمروا أوجدوا مشاكل متفجرة أو كامنة يسهل تفجيرها، لتبرير عودتهم أو تدخلهم في المنطقة من جديد، مثل مشاكل كشمير، ولواء الإسكندرونة، والصحراء الغربية، وجزر الخليج، وقبرص، وجنوب السودان، وتيمور الشرقية، وحلايب، واقتسام مياه الفرات ومياه النيل، وعملاؤهم من الحكام يذكون هذه الخلافات، ويعمقون الجروح، فاختلف العرب والعجم

على تسمية الخليج أهو عربي أم فارسي عجمي، مع أن الخليج وبلاد فارس وبلاد العرب كلها بلاد إسلامية ومياه إسلامية والأصل أن تكون جزءاً من دولة الإسلام الواحدة، حتى داخل الكيان الواحد، أوجدوا الحساسيات بين أبناء المناطق المختلفة، فهذا من الضفة، وهذا من غزة، وهذا من الحضر وذاك من البدو.

ألا يرون أن هؤلاء الكفار يهاجمون عقيدتنا وما انبثق عنها من نظام، ويستقبلون البعثات لمحو الإسلام من عقولهم ونفوسهم، وتنشئتهم على مفاهيمهم وحضارتهم، بل أنشأوا الجامعات ووضعوا لها المناهج التي تخدم غرضهم هذا، حتى في صرح مثل الأزهر. وأمعنوا في ذلك حتى وصلوا إلى عقول الأطفال والناشئين في المدارس فحرصوا على وضع المناهج التي تضمن تمييع شخصياتهم على الأقل، حيث يعجزون عن تحويلهم عن دينهم بأساليب التبشير الخبيثة. فيكتفون بإبعادهم عن الإسلام ولو لم يدخلوا في الكفر. كما سخّروا لهذه الهجمة الفكرية كل وسائل الإعلام بالإضافة إلى التعليم، ووظفوا الأموال الطائلة لتحقيق هذا الغرض، ونفخوا بالونات وطبولاً سموها مفكرين ومفكرات، وأنشأوا أحزاباً من التافهين والتافهات، من الذين رضوا بأن يكونوا أبواقاً لحضارتهم، وما تحمله من مفاهيم منحطة زائفة وضعية، لا تنتج إلا الشقاء لمن يحملها. وهم في كل هذا يستعينون بنواطيرهم من الظلمة وأعوانهم.

ألا يرون أنهم يغرقوننا بالديون وهم يعلمون علم اليقين أن هذه الديون يتصرف الحكام وأعوانهم ويردونها إلى بنوك أوروبا وأمريكا في حسابات خاصة بهم، وبالتالي يزداد فقر البلاد، وأن مقدرات الأمة توظف لسداد فوائد هذه الديون فقط وهي عاجزة في كثير من الأحيان عن خدمة هذه الديون.

ألا يرون أنهم يحتفظون ببترولهم في آبارهم ويهجمون على بترولنا لنهبه بأبخس الأثمان يعينهم في ذلك نواطيرهم وأعوانهم، حتى صارت أكثر دول النفط إن لم تكن كلها، مدينة مفلسة مع أن بعضها ينتج البترول منذ أكثر من ستين عاما؟

ألا يرون أنهم يصدرون إلينا كل سلاح قديم لا يصلح لاستعمال جيوشهم، أو أنه مشطوب من الاستعمال عندهم، فيبيعونه لنا، وبذلك يتخلصون من تكاليف تدميره، وهم يشعلون الحرائق، ويؤججون الصراعات لاستنزاف ثروات المنطقة في شراء الأسلحة التي تتحول مع الزمن إلى حديد خردة.

هذا غيض من فيض مؤامراتهم، ثم تقولون نظرية المؤامرة وعقدة التآمر! إن وجودكم في الأمة مظهر من مظاهر المؤامرة، وإفراز من إفرازاتها. فلا تحسبوا أن الأمة غافلة، أو أنها نائمة، إنها تغلي ولن تلبث أن تنفجر وتكسر قيودها، وتبطل ما صنع بها الكفار والمتآمرون، وتتبوأ مقعدها الذي ارتضاه الله لها، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويرتد كيد الكافرين إلى نحورهم، ويكون ما بذلوا من جهد ومال حسرة في قلوبهم، ثم يغلبون.

أما أنت أيتها الأمة الخيرة فقد بان لك العدو، إنه الكافر وأعوانه، وتحدد الداء، وهو غياب الإسلام عن الحياة، فصار وصف الدواء سهلا، وهو استئناف الحياة الإسلامية، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الحكم، يسلمه القادرون من أهل القوة والمنعة، إلى المخلصين الواعين من إخوانهم وأبنائهم، لترتفع راية الإسلام لعل الله يحشرهم مع الأنصار الأولين من الأوس والخزرج ❑

الاستدلال بالمصلحة (٢)

بقلم: محمود عبد الكريم حسن

كثرت في أيامنا الفتاوى والآراء المطروحة باسم الإسلام، المخالفة للشرع والمناقضة للنصوص، والتي يتذرع أصحابها بمبررات منها وعلى رأسها المصلحة.

وعندما ترد النصوص الشرعية على هذا الطرح، يجادل أصحابه فيقولون: المصلحة تقتضي هذا. فما هو دور المصلحة في التشريع، هل يصح اتخاذها دليلا شرعيا؟ وهل قال أحد من الأئمة بالاستدلال بالمصلحة؟

٣ ـ المرسل:

وهو وصف مناسب ليس معتبرا ولا ملغى. وهو بحرفية هذا التعريف لم يقل به أحد، بل هو مردود بالاتفاق، وكل من تحدث، من الأئمة، عن المرسل بهذا المعنى رده. والذين أجازوا إعمال المرسل لم يقصدوا أنه ليس معتبرا بإطلاق. وإنما قصدوا أنه لم يشهد له حكم بعينه، ولكن شهد حكم لجنسه، أو شهدت أحكام لجنسه. فالمرسل عند القائلين به هو من قبيل المعتبر الذي لم يشهد له أي لعينه حكم معين.

قال فخر الدين الرازي في المحصول (وهو من القائلين بالمصالح المرسلة): «المناسب الذي لا يلائم ولا يشهد له أصل معين فهذا مردود بالإجماع. ومثاله حرمان القاتل من الميراث معارضة له بنقيض قصده لو قدرنا أنه لم يرد فيه نص» [المحصول ج٥/ ص١٦٧] فالمعاملة بنقيض المقصود وصف مناسب عقلا، وعلى فرض عدم وجود نص «القاتل لا يرث» يكون هذا المعنى المناسب مردودا بالإجماع، وهذا يؤكد أن القائلين بالمصالح المرسلة لا يقصدون المرسلة بإطلاق من غير وجود أصل أو حكم يشهد لها. ويقول أيضا (أي الرازي): «مناسب ملائم لا يشهد له أصل بالاعتبار، يعني أنه اعتبر جنسه في جنسه لكن لم يوجد له أصل يدل على اعتبار نوعه في نوعه وهذا هو المصالح المرسلة» [المحصول ج٥/ ص١٦٧]. فتعريفه هنا أن المصالح المرسلة هي ما لم يشهد لنوعه أصل بالاعتبار ولكنه ملائم، وفسر كلامه بأنه اعتبر جنسه في جنسه. ويأتي بمثال فيقول: «مثال تأثير الجنس في الجنس تعليل الأحكام بالحكم التي لا تشهد لها أصول معينة مثل أن عليا رضي الله عنه أقام الشرب مقام القذف إقامة لمظنة الشيء مقامه، قياسا على إقامة الخلوة بالمرأة مقام وطئها في الحرمة» [المحصول ج٥/ ص١٦٤] وعلى ذلك فالمرسل عند من يأخذ به هو أحد أقسام المعتبر. إذ المعتبر قد يكون شهد له حكم معروف كوصف الإسكار شهد له حكم محدد وهو تحريم الخمر. وقد يكون لم يشهد له حكم معين وإنما شهد حكم أو أحكام لجنسه كما في المثال أعلاه. حيث قرأ الرازي في حكم إقامة الخلوة مقام الوطء، معنى عاما وهو إقامة مظنة الشيء مقام الشيء، وهنا يوجد عملية تعميم أو تجنيس لوصف ما بغير دليل على التعميم. والافتقار إلى التعميم هو سبب تسمية المناسب بأنه مرسل.

ولهذا جاء قول الرازي وغيره في المصلحة المرسلة إنها مناسب ملائم لا يشهد له أصل معين. ولفظ ملائم اصطلاح يقصد به كثرة الأحكام التي تشهد لوصف معين. وذلك كوصف

المشقة في السفر شهد له أكثر من حكم: حكم الجمع، حكم القصر، حكم الإفطار. فإذا لم يكن الوصف مُلغىً فهو معتبر وملائم، بخلاف الوصف الذي لا يشهد له إلا حكم واحد فيسمى المعتبر الغريب. [في تقسيم المناسب إلى معتبر ومرسل ومُلغى، وفي تقسيم المعتبر إلى مؤثر وملائم وغريب، أنظر: الإحكام للآمدي ج٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨. وإرشاد الفحول للشوكاني ص٢١٧. وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للأنصاري ج٢/ ص٢٦٦].

ولهذا قيل إن المصلحة المرسلة يجب أن تكون ملائمة لمقاصد الشريعة، ومقاصد الشريعة هي هذه الأوصاف المناسبة المعتبرة التي شهدت لها أحكام كثيرة تفوق الحصر. فمثلاً حفظ العقل لم يشهد له حكم معين، ولكن شهد حكم لوصف الإسكار، وشهدت أحكام للتفكر والتدبر حيث مُدِح المتفكرون والمتدبرون وذُمَّ الذين لا يفقهون والذين لا يعقلون، ورفع التكليف عن الصبي والمجنون، وغيرها ما يوجد فيها مجتمعةً حفظ العقل. ولذلك يقال إن حفظ العقل من مقاصد الشريعة وإن لم يوجد حكم معين يشهد لذلك أو نص. وكذلك يقال في سائر المقاصد. وبناءً على ذلك فلا يوجد في الشريعة قول: إن المصلحة دليل على الحكم الشرعي. وكذلك ليس المراد بالمصالح المرسلة الاستدلال على تحريم الفعل أو جوازه لمجرد اشتماله على مفسدة أو مصلحة.

ونريد الآن أن نقف على بعض الأقوال التي ينقلها بعض العلماء والكتاب وهي أقوال بعيدة عن الدقة أحياناً، وأحياناً أخرى هي تحليلات وليست أخباراً منقولة.

لقد اشتهرت نسبة القول بالمناسب المرسل إلى الإمام مالك رضي الله عنه، ونسب بعضهم القول بها إلى السادة الحنفية والسادة الشافعية، ونسبها بعضهم إلى الشافعية دون الحنفية. وادعى بعضهم وجودها في كل المذاهب. يقول الدكتور محمد حسن هيتو: «إن مسألة الاستدلال بالمرسل قد وقع فيها خبط كثير فتضاربت فيها النقول وتشعبت الآراء» [أنظر المنخول من تعليقات الأصول للغزالي ـ تحقيق الدكتور هيتو ص٣٧٠] ويقول الدكتور مصطفى البُغا: «إن الراجح من الآراء أنه لا يصلح الاستدلال به إذ لا دليل على اعتباره. وإنه لم يذهب إلى القول به إلا الإمام مالك رحمه الله تعالى» [أثر الأدلة المختلف فيها ص٤١] وذهب الدكتور البوطي إلى قول: «إن المصالح المرسلة مقبولة باتفاق الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة» [ضوابط المصلحة ص٤٠٧]. وذهب القرافي إلى أنها موجودة في كل المذاهب [شرح تنقيح الفصول ص٣٩٤]. وقال الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله: «ولا تعتبر المصالح المرسلة حجة شرعية لعدم وجود دليل يدل عليها» [الشخصية الإسلامية ج٣/ ص٤٣٣. وقال: «... فلا تصلح لأن تكون دليلاً من الأدلة الشرعية» [المصدر نفسه ص٤٣٧]. وقد ردها القاضي أبو بكر الباقلاني وردَّ مسلك المناسبة كله أصلاً، وقال إن معناها يرجع إلى التحسين والتقبيح العقلي واتباع تشريع العقلاء والحكماء [أنظر البرهان ج٢/ ص٧٢٤] وردها أيضاً ابن الحاجب المالكي وقال: «المصالح المرسلة مصالح لا يشهد لها أصل بالاعتبار في الشرع وإن كانت على سنن المصالح وتلقتها العقول بالقبول». وقال: «لنا أن لا دليل فوجب الرد كما في الاستحسان» [أنظر حاشيتي التفتزاني والجرجاني على مختصر المنتهى الأصولي ج٢/ ص٣٨٩].

وردها الأحناف بشدة، ولا تصح نسبتها إليهم بحال. ولأئمتهم فيها قول واحد هو: «لا دليل فلا اعتبار» [أنظر تيسير التحرير على التحرير لابن همام الإسكندري ج٣/ ص٣١٥. ومسلم الثبوت ج٢/ ص٢٦٦ وص٣٠١. وكشف الأسرار لعلاء الدين البخاري ج٣/ ص٥١٨].

وقال الآمدي: «وهذا (أي المناسب المرسل) متردد بين ذينك القسمين (أي المعتبر والملغى) وليس إلحاقه بأحدهما بأولى من الآخر، فامتنع الاحتجاج به دون شاهد بالاعتبار يعرف به أنه من

قبيل المعتبر دون الملغى» [الإحكام ج٤/ ص١٦٠].

وقال عز الدين بن عبد السلام: «فليس لأحد أن يستحسن ولا أن يستعمل مصلحة مرسلة» [قواعد الأحكام في مصالح الأنام ص٣٠٤] وقال الغزالي: «بلى من استصلح فقد شرَّع، كما أن من استحسن فقد شرع» [المستصفى ج١/ ص٣١٥].

وقال مجد الدين بن تيمية: «المصالح المرسلة لا يجوز بناء الأحكام عليها» [أنظر المسودة في أصول الفقه. للأئمة الثلاثة من آل تيمية ص٤٥٠] وقال تقي الدين بن تيمية: «إن المصالح المرسلة شرع في الدين بما لم يأذن به الله وهي تشبه من بعض الوجوه الاستحسان والتحسين العقلي والرأي ونحو ذلك».

وهكذا فالأقوال تكاد تكون مجتمعةً على أن المصالح المرسلة مردودة. وتكاد تجتمع أيضاً على نسبة القول بها إلى مالك رحمه الله. إلا أن الذي يترجح أيضاً أن هذه النسبة إلى مالك تعتمد على تحليلات لبعض فروع مذهبه. إذ لم يأتِ أحد بأي دليل على أن مالكاً يقول بها، ولا على معناها لديه وأول من نسبها إلى مالك وقال باسترساله فيها هو إمام الحرمين الجويني والله أعلم، فقال عنه متحاملاً على منهجه: «رُئِيَ يثبتُ مصالح بعيدة عن المصالح المألوفة والمعاني المعروفة في الشريعة ... وإن لم يجد لتلك المصالح مستنداً إلى أصول ثم لا وقوف عنده بل الرأي رأيه ما استدَّ نظره» [البرهان ج٢/ ص٧٢١ فقرة ١١٢٨]. وفي المقابل نجد من ينكر نسبة المصالح المرسلة إلى مالك. قال الشوكاني: «وقد أنكر جماعة من المالكية ما نسب إلى مالك من القول بها ومنهم القرطبي. وقال: ذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة إلى عدم الاعتماد عليها وهو مذهب مالك. وقد اجترأ إمام الحرمين وجازف فيما نسبه إلى مالك من الإفراط في هذا الأصل وهذا لا يوجد في كتب مالك ولا في شيء من كتب أصحابه.» [إرشاد الفحول ص٢٤٢].

ويقول الدكتور هيتو: «وأما نسبة القول إلى مالك بهذا النوع من الاستدلال المرسل فهي نسبة غير متفق عليها». [المنخول بتحقيق الدكتور هيتو. حاشية ص٣٥٤ ـ ٣٦٥].

أما الشاطبي الذي يستند إليه بعض المعاصرين في الاستدلال بالمصلحة، فإنهم ينسبون إليه ما لم يقله، ويقلبون آراءه رأساً على عقب. إذ هو يركز على محاربة الآراء التي تعتمد المصلحة دليلاً، ويعدُّها بدعاً وأهواءً. ولذلك عقد فصلاً في الاعتصام يفرق فيه بين المصالح المرسلة والاستحسان كما يفهمهما هو، وبين البدع والأهواء التي يُصْدِرُ عنها المتذرعون بالمصالح. قال: «ما سكتت عنه الشواهد الخاصة فلم تشهد باعتباره ولا إلغائه فهذا على وجهين: الأول: كتعليل منع القتل للميراث. فالمعاملة بنقيض المقصود تقدير إن لم يرد نص على وفقه. فإن هذه العلة لا عهد بها في تصرفات الشرع. فلا يصح التعليل بها ولا بناء الحكم عليها باتفاق. ومثل هذا تشريع من القائل به فلا يمكن قبوله. والثاني: أن يلائم تصرفات الشرع، وهو أن يوجد لذلك المعنى جنس اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين». [الاعتصام ج٢/ ص٣٧٥]. وقال: «المناسبة لا تقتضي الحكم لنفسها وإنما ذلك من مذهب أهل التحسين العقلي، بل إذا ظهر المعنى وفهمنا من الشرع اعتباره في اقتضاء الأحكام فحينئذٍ نقبله» [الاعتصام ج٢/ ص٣٧٤].

وعلى ذلك فإن جعل المصلحة أو المناسبة العقلية دليلاً على الحكم حيث يوازن الناظر بين المصالح والمفاسد برأيه أو بحكمته ثم يعطي الحكم بناءً على ذلك، فهذا لا أصل له في الدين.

فالواقع بكل ما فيه من أوصاف ومن مصالح ومفاسد هو موضع البحث الذي يحتاج إلى حكم. والعقل والفهم والحكمة هي أدوات فهم الواقع وفهم الحكم. والحكم مصدره الوحي فقط.

وما يفتى فيه بجواز اتباع المصلحة أو الهوى أو الحظ أو الميل الشخصي يجب أن يرجع إلى أصل شرعي يدل على هذا الجواز، وذلك مثل التخير في الطعام أو اللباس أو الزواج أو في بناء

مدرسة أو مستشفى أو في الإنفاق في هذا المصرف أو ذلك. وإذا كان الأمر هكذا في المصالح المرسلة وهي ما لم ينقضها نص ولم يشهد لإلغائها حكم. فأين تقع الآراء والفتاوى العجيبة الغريبة التي يفتي بها بعض علماء أيامنا؟ أين تقع هذه الآراء التي تناقض ما أجمع عليه الصحابة والعلماء، والتي تصطدم أحيانا بنصوص قطعية الثبوت والدلالة؟

إن مثل هذه الآراء التحريفية مردودة بداهة عند من يدرك هذه التفصيلات في أصول الفقه وعند من لا يدركها. والمنهج الذي يصدر مثل هذه الآراء، لم يسبق إليه عالم معتبر. ومثل هذه الآراء ليست من المناسب المرسل أو المصالح المرسلة وإنما هي من قسم الملغى، وهي من المردود بالاتفاق أو بالإجماع كما أوردنا عن الرازي وعن الشاطبي. وترويج مثل هذه الآراء، ومحاولة وضع ما يسمى بالتأصيل الفقهي، الذي يروض العامة وطلبة العلم على عدم الاكتراث بالنصوص عند أتباع المصالح فهذا تحريف وابتداع في الدين واتباع للهوى. قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾.

وبكلمة موجزة، فإن لفظ المصالح المرسلة قد استعمل في كتب الأصوليين بثلاثة معان مختلفة. ولذلك نجد الاضطراب في النقل عن الأئمة وعن مالك رضي الله عنهم، فنرى من ينسبها إلى جميع المذاهب، ونرى من ينفيها عن الجميع وعن مالك، ونرى من ينسبها إلى الشافعية والحنفية ومن ينسبها إلى بعض دون بعض.

المعنى الأول: أن تعد المصلحة دليلا. فيستدل الفقيه بكون الأمر مصلحة أو مفسدة على الجواز أو التحريم محتجا بأن هذا الأمر لم يتناوله نص، وهذا المعنى مردود عند الجميع، لم يقل به أحد من الأئمة المعتبرين، وإنما شاع هذا المعنى في عصرنا لفشو الجهل وضمور سلطان الدين.

المعنى الثاني: وهو الذي ذكرناه في بحثنا، بأن يتم تعميم وصف أو معنى لم يدل على تعميمه دليل شرعي. وبهذا التعميم يتناول الوصف أمورا لم يكن ليتناولها أو ينطبق عليها لولا التعميم، وليس لها دليل آخر يتناولها نصا أو بعينها. فهذا المعنى قال به بعضهم ورده الأكثرون. وإنما تصح نسبته إلى أئمة الشافعية كالآمدي والغزالي حيث قالوا بالمعتبر الملائم. وبإمكانية قبول المعتبر الغريب. وأئمة الأحناف ردوه بإطلاق، فإن وجد لدى بعضهم أقوال بخلاف هذا فهي خارجة عن أصول مذهبهم.

المعنى الثالث: وهو أن تكون المصالح المرسلة بمعنى أفعال أو أعيان تندرج تحت دليل كلي أو عام. فيتناولها الدليل ـ نصا كان أو قاعدة ـ من حيث كونها فردا أو جزئية من أفراد أو جزئيات ذلك الكلي أو العام. وذلك كقاعدة «الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم» وكقاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» وغيرها. وكمثال على ذلك استعمال صناديق الاقتراع ومن ثم فرز الأوراق والتسجيل والحساب أو استعمال الكمبيوتر في عملية الانتخاب. فهي وإن لم يأت دليل على جواز استعمال الصناديق أو الكمبيوتر، أو على هذا الأسلوب للانتخاب، فإن هذا كله يندرج تحت قاعدة الأصل في الأشياء ...، وتحت قاعدة «ما كان دليل أصله عاما فإنه يأخذ حكم ذلك الأصل».

فإنها بهذا المعنى يمكن نسبتها لكل الأئمة والمذاهب، وربما كان هذا المعنى هو، وليس غيره، الذي يصح نسبته إلى مالك رحمه الله.

وتعليقا على هذه المعاني: فإن المعنى الأول مردود اتفاقا، وهو يعني التحسين والتقبيح العقليين. والمعنى الثاني مردود لأن هذا النوع من الاعتبار تحكم بغير دليل، وعملية التعميم أيضا هي بغير دليل فلا تصح.

والمعنى الثالث هو المعنى المقبول اتفاقا وهو ما عليه الفقه والاجتهاد، سواء سمي هذا المعنى مصلحة مرسلة أو لم يسم.

ونسأل الله السداد والرشاد ❑

[انتهى]

جريمة التفاوض على القدس

هذه إحدى الكلمات التي ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب في جبل الزيتون في القدس الشريف بمناسبة ذكرى تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعد أيها الإخوة المؤمنون:

لا يسعنا فى بداية هذه الندوة المباركة إلا أن نستذكر ذكرى عزيزة على قلوبنا مهيبة في نفوسنا، هي ذكرى موقعة حطين العظيمة ، التي وقعت فى مثل هذه الأيام وتحديداً فى السابع والعشرين من رجب لسنة ٥٨٣هـ، الموافق للثانى من تشرين الأول عام ١١٨٧م، هذه الذكرى الجليلة التي كان لها الأثر الأكبر في تحرير القدس من براثن الصليبيين، وتطهيرها من رجسهم. فالمسلمون بقيادة صلاح الدين – رحمه الله – قد خاضوا هذه المعركة الفاصلة، وما تلاها من معارك، دفاعاً عن القدس وفلسطين، الأرض المباركة التى تركها صحابة رسول الله ﷺ وديعة لدى الأمة الإسلامية، لقد هبوا لقتال الصليبيين، ولم يتنازلوا لهم عن أى شبر فى فلسطين، التى كانوا قد استولوا عليها فى فترة ضعف مرت بها الأمة الإسلامية، واستمر المسلمون في قتال الصليبيين جيلاً بعد جيل حتى استطاعوا استرجاع القدس بعد تسعين سنة من ضياعها، واسترجعوا كذلك جميع البلاد الإسلامية التى استولى عليها الصليبيون، فى حروب استمرت مائتى عام، دون أن يقبلوا بأن يتنازلوا لعدوهم القاهر هذا عن أي جزء من الأرض بإرادتهم.

نعم – إخوة الإسلام – لم يقبل المسلمون مطلقاً أن يتركوا الصليبيين يسكنون أو يهدأون أو يستوطنون فلسطين، دون أن يديموا مقاتلتهم ومحاربتهم، وما عقدوه معهم من معاهدات إنما كانت معاهدات هدنة، وإيقاف قتال لمدة محددة، من أجل تجميع القوى، وليس إقراراً لهم استيلاءهم على الأرض التي اغتصبوها، ولم يباركوا لهم وجودهم فى أية بقعة من الديار الشامية، لتكون لهم أبد الآبدين ودهر الداهرين، كما هو حاصل اليوم على يد حكامنا وزعمائنا.

أيها الإخوة الكرام: لا شك أنكم تعلمون أن المفاوضات من حيث هي تعني المساومات والتنازلات، لذلك كانت مثل هذه المفاوضات عند أصحاب المبادئ وعند الأقوياء ومن عندهم بقية من كرامة، مرفوضة تماماً، لأنها تمس بوجودهم وعقائدهم وأراضيهم وقضاياهم المصيرية، وهذه أمور لا تخضع أبداً للتفاوض. والدول والشعوب التى تحترم نفسها وتتمسك بمبادئها وقيمها، لا تجعل من أراضيها مادة للتفاوض، ولا ترضى أن تجعل أعز ما تملك محلاً للتفاوض.

فكيف أنتم – أيها الإخوة الأعزاء – والتفاوض يتعلق بالعقيدة الإسلامية، وبالبلاد الإسلامية، وبالمقدسات الإسلامية، فإذا كانت أية أرض يستولى عليها العدو الكافر، توجب على المسلمين أن يهبوا لقتال هذا الغاصب قتالاً مستمراً، حتى يسترجعوا منه ما اغتصب، ولو ضحَّوْا بملايين الشهداء، وإذا كانت أية أرض إسلامية تستحق كل هذه التضحيات الجسام، فما بالكم بأرض الإسراء، مسرى نبينا، وقبلتنا الأولى، ووديعة صحابة رسول الله لنا، ما بالكم بالأرض التى نزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾ ذلك المسجد الذى قال فيه رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

لقد قرن الرسول ﷺ المسجد الأقصى بالكعبة

وبمسجد الرسول ليعلم المسلمين أن قدسية المسجد الأقصى كقدسية المسجد الحرام والمسجد النبوى، وبما أنها مساجد واجبة التقديس، فالدفاع عنها واحد وهو فى الذروة من فروض الجهاد.

إن فلسطين – أيها الإخوة الكرام – ليست مجرد أرض يتنازع عليها، أو يتفاوض حولها، بل هي مربوطة بالعقيدة الإسلامية، والله سبحانه وتعالى باركها وبارك جوارها، فالمباركة شاملة حول المسجد الأقصى وهى جميع أراضى بلاد الشام، وتستوى فى المباركة يافا وحيفا وعكا، وعمان مع القدس ونابلس والخليل ودمشق وبيروت، فكل المدن والبلاد الواقعة في بلاد الشام أرض مباركة، وكلها مربوطة بالعقيدة الإسلامية، وكلها يحرم على المسلمين التفريط بأى شبر منها مهما كان صغيرا، أو مهما كان بعيدا عن القدس أو عن المسجد الأقصى، لأن التفريط فيها إنما هو تفريط بعقيدة المسلمين نفسها، وهذا الحكم الشرعي ينسحب على كل أرض إسلامية رفرفت فوقها راية الإسلام.

إخوة الإسلام ... إن مسخ قضية القدس لتقتصر على المسجد الأقصى أو حتى على مبنى المسجد – كما يروج بعض الخطباء والشيوخ – إنما هو تفريط فى الأرض المباركة، وهو أخذ بعض كلام الله سبحانه، وترك بعضه، لأن المسألة تتعلق بكل شبر اغتصب من فلسطين، سواء أكان ذلك واقعاً في القدس أم في غيرها بلا أدنى فرق.

تعلمون أيها الإخوة الكرام أن الدول الأوروبية الكافرة، حينما خاضت آخر حرب مع الدولة الإسلامية العثمانية فى الحرب العالمية الأولى، وانتصرت عليها، وضعت مخططات لجعل فلسطين منطقة دولية، وهذا ما نصت عليه معاهدة سايكس – بيكو سنة ١٩١٦م إذ اعتبرت أن البلاد الواقعة غرب الأردن فيما بين عكا شمالاً وغزة جنوباً منطقة دولية، بمعنى أنهم كانوا يريدونها قاعدة للدول الغربية الكافرة، ورأس جسر للعالم الكافر، يربض على قلوب المسلمين، في أهم بقاع الأرض استراتيجية لدى المسلمين، وكان قصدهم من ذلك أن يتمكنوا من تمزيق الدولة الإسلامية، وأن يضمنوا عدم عودتها ثانية إلى الوجود، لكن بريطانيا التي كانت تحتل فلسطين آنذاك استعاضت عن مشروع التدويل هذا، بمنح اليهود وعد بلفور الذى أقيمت دولة إسرائيل – فيما بعد – على أساسه لتكون رأس الجسر البديل للغرب، لإبقاء سيطرته ونفوذه على بلاد المسلمين، وللحيلولة دون توحيد هذه البلاد فى دولة واحدة، ولتكريس التجزئة والشرذمة وإبقاء المسلمين في حالة الهزال والضعف التى نراهم عليها الآن، وحتى لا تعود دولة الخلافة ثانية، ولا يرجع الإسلام ليتحكم فى علاقات المسلمين، وحتى لا يعاود المسلمون الكرة على أوروبا التي ذاقت منهم ما ذاقت وبلَت منهم ما بلت، إذ ينشغل المسلمون بها وبما نشأ عن وجودها عن مهمتهم الأصلية، ورسالتهم الربّانية.

فالقضية – أيها الإخوة الأعزاء – ليست مسألة ضياع أرض فحسب، ولا هي مجرد إيواء مشردين وعودة لاجئين أو تعويضهم، بل المسألة ببساطة هى إقامة رأس جسر للغرب الكافر فى بلاد المسلمين هى دولة إسرائيل، هذا الكيان السرطانى الخبيث وذلك الشر القاتل والسم الزعاف، وبذلك انتقلت الحدود بين المسلمين والكفار، إلى عقر دار المسلمين.

إن الغرب، منذ نصف قرن أو يزيد، يتهالك على نزع الاعتراف من المسلمين بإسرائيل، لأنه يدرك أن الصلح الدائم والشامل هو الذى يجعل من إسرائيل تجربة ناجحة لخدمة مصالحه وأغراضه، ولتكون على المسلمين كارثة مستمرة وداءً وبيلاً، وهذا ما يسعى لتحقيقه الآن، فبدأ بحكام مصر، ثم بممثلى الفلسطينيين المزعومين ومن بعدهم بحكام الأردن، وما تزال السبحة تكر، وكان آخر فصولها العلاقات الدبلوماسية بين موريتانيا ودولة يهود.

لقد تعلم الغرب الكافر من الحروب الصليبية درساً لن ينساه أبداً، فالصليبيون، الذين جاءوا بقضهم وقضيضهم من أوروبا، لم يحالفهم الحظ في إقامة قاعدة لهم هنا، فكانت بلادنا مقبرة لهم، ولم يعد لهم أى وجود فى بلادنا وعادوا خائبين، وليس ذلك فقط بل وأعاد المسلمون الكرة عليهم، ولحقوهم إلى عقر دارهم واستولوا على نصف

قارتهم الأوروبية لأكثر من أربعمائة عام، لذلك وجد الغرب في إسرائيل ضالته - بعد أن تعلم الدرس جيداً - ودعمها إلى أبعد الحدود لتكون قاعدة متقدمة له فى بلاد الإسلام، وحربة مشرعة فى صدور المسلمين.

لذلك - أيها الإخوة الأعزاء - عليكم أن تدركوا أن القادة العرب الذين يتهالكون للقاء اليهود والتصالح معهم بحجج وذرائع واهية، كتغير موازين القوى، وتحت شعارات زائفة كتحقيق السلام الشامل والعادل، عليكم أن تدركوا أن هؤلاء اللاهثين وراء عدو الله وعدو المسلمين، يريدون أن يقلبوا الحقائق ويغيروا المفاهيم، فلقد جعلوا الجريمة فضيلة، والنذالة والاستخذاء تعقلاً وعملاً حضارياً، إنهم شاركوا إسرائيل فى المؤامرة التى أطلقوا عليها اسم السلام، وما إطلاقهم للسلام بأنه الخيار الاستراتيجي، إلا نوع من أنواع التنازل لليهود عن فلسطين بأسلوب ملتو، وشكل من أشكال الاستخذاء للكافر المغتصب بوسيلة مخادعة، وعملهم هذا فوق كونه ارتماء على أقدام الأعداء، الذين أشبعونا تقتيلا وتدميرا وتهجيرا، هو أيضا مكافأة لهم على ما قاموا به من اغتصاب للأرض وتشتيت للشعب، بتركهم يعيشون ويرتعون فى فلسطين، بأمن وطمأنينة دون أن يخشوا من المسلمين كيدا أو تهديدا.

لقد نصب هؤلاء الحكام الأنذال والزعماء الخونة من أنفسهم حراسا لحماية اليهود من غضبة المسلمين، في اللحظة التي ينظر فيها قادة اليهود إليهم نظرة احتقار وازدراء، فهذا رئيس وزرائهم باراك يستخف بهم ويقول فى إحدى البلدان الأوروبية: "أن لا مكان للضعفاء في الشرق الأوسط" ويمعن في ازدراء المفاوضين العرب والفلسطينيين فيقول: "إن السلام الحقيقى يحتاج لأربعة أجيال" أى لأكثر من ثمانين سنة، بينما يقول أكثرهم فى حكومة العدو اعتدالا "بأن القدس تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات من المفاوضات لحسم أمرها" وأما غير المعتدل فى الحكومة نفسها فيقول: "بأن مسألة القدس تحتاج إلى عشرين سنة لبدء المفاوضات عليها"، وذاك وزير آخر منهم يقرر "بأن مسألة سيادة إسرائيل على الأرض ليست محلا للتفاوض". هذا ما تلوكه ألسنتهم وما تخفي صدورهم أكبر. أما مفاوضونا المتواطئون فلم يكتفوا بقبول التفاوض على القدس، وجعلها محلا لكل المساومات والتنازلات، بل وجعلوها فى آخر أولوياتهم التفاوضية، وفى ذيل القائمة الطويلة من موضوعات المفاوضات، فأرجأوا التفاوض عليها إلى المرحلة النهائية التى لا يعلم إلا الله - سبحانه - كيف ستبدأ ومتى ستنتهى.

لم يكتف مفاوضونا (الأشاوس) بأن قدموا فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م لليهود على طبق من ذهب بل ونصبوا من أنفسهم ممثلين وأوصياء على الناس، يهبون البلاد والعباد لأعداء الإسلام الذين عاثوا فى الأرض فسادا. فهذا كبير المفاوضين يخاطب اليهود من أصل روسى قائلا: "نحن الفلسطينيين قدمنا تنازلا تاريخيا في المفاوضات حين اكتفينا بـ ٢٣% من مساحة فلسطين". إنه يخاطبهم بمنطق التنازلات المفضوحة. لقد مرغوا بالطين كرامات العباد، حتى غدت شعوبنا أضحوكة بين الأمم، بسبب تصرف هؤلاء الزعماء الأشقياء المتربعين على سدة الحكم أو على ما يشبه سدة الحكم.

أيها الإخوة الأكارم لا يتردد عاقل - أنعم النظر فى هذه المفاوضات - إلا ويقطع متيقنا بأن هذه المفاوضات إنما هي مؤامرة كبرى، ومهزلة مخجلة، وتفريط مهين بالمبدأ والعقيدة، والبلاد والعباد، وكل ما له مساس بالعزة والكرامة ...

إنها حقا لمفارقة عجيبة أن يتشبث الغاصبون بثوابتهم ولاءاتهم، ويعلنوا على رؤوس الأشهاد بأن القدس عاصمتهم الأبدية وأنها لن تقسم ثانية، ويحلفوا بأن موقفهم هذا لا مساومة عليه، وأنه أخذ بإجماع الشعب اليهودى، ويتبعوا أقوالهم هذه بالأفعال، فيكثفون بناء المستوطنات فى القدس، ويستمرون فى مصادرة الأراضى، ويقاومون كل الضغوط الدولية التي تمارس عليهم، ولا يتوقفون عن الاستمرار فى الأعمال الاستيطانية فيها، كمناطق أبى غنيم ورأس العمود وسلوان وغيرها من مناطق في قلب

القدس وفي محيطها.

بينما مفاوضونا المسالمون المتساهلون يقبلون بإملاءات اليهود، ويبررون قبولهم هذا بأتفه الأسباب، ويتشدقون بقبولهم لهذا الاستسلام المخزى، باعتباره خيارا استراتيجيا لا عودة عنه. تلكم - أيها الاخوة الكرام - هى المفارقة العجيبة ... عدو يلتهم القدس وفلسطين، يقول بأن المفاوضات الجادة ستستغرق عشرات السنين، وستحتاج لأجيال يتناوب فيها الآباء والأبناء، يخوضون فى مهزلة المفاوضات والاتفاقات التى لا أول لها ولا آخر ... بينما صاحب الحق يتغافل عن حقه ويختبئ خلف شعارات مخادعة ومبررات كاذبة ليغطى بها خياناته وجرائمه.

أيها الإخوة الأفاضل ليكن الجميع على علم - والمتفاوضون على وجه الخصوص - بأن وعد الله بالقضاء على دولة يهود أمر لا ريب فيه، فهو وعد بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فمهما تضخمت دولة يهود وانتفخت، ومهما بلغت من القوة والتفوق شأوا بعيدا، ومهما سايرتها دول وحكومات العالم، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ قول دائم وقاطع وواقع، ومعناه أنه إن عاد اليهود واستكبروا فى الأرض، وعاثوا فيها الفساد فإن الله سبحانه سيعود عليهم بالتقتيل والتدمير والهلاك . فآية ﴿وإن عدتم عدنا﴾ هى قاعدة ربانية لا تتخلف، وبناء على هذه القاعدة فإن تدمير إسرائيل لا محالة حاصل، وسيكون بالإسلام وعلى يد المسلمين - إن شاء الله تعالى -، ولن يكون باسم العروبة أو الفلسطينية. ويؤكد ذلك ما ثبت بالحديث الصحيح الذى أورده البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودى تعال فاقتله» فاعتبروا بذلك أيها المؤمنون، فإن هذا هو المصير المؤكد الذى ستؤول إليه دولة يهود، وإنه لن ينفعها ما أعدت من عتاد وسلاح، ولسوف يقضى عليها بأيدى المؤمنين حتما، وبعون الله ونصره، وسيحصل ذلك باسم الإسلام وتحت راية الجهاد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمصير يهود سيكون أسود قاتما فظيعا، ألا وهو التدمير والتخريب والقلع، وهو مماثل لما حصل مع يهود بني النضير ويهود بني قريظة، ولهذا لا داعي للانخراط في مشاريع الصلح والمفاوضات مع اليهود، ولا داعى للمشاركة فى تصفية القضية الفلسطينية، لأن حصول ذلك سيجعل من قتالنا العتيد معهم أشد هولا، وأكثر شراسة، وقد يكلفنا الملايين من الشهداء، وذلك لأن إبرام الصلح مع إسرائيل سيجعل منها دولة شرعية فى نظر المجتمع الدولى، فاعترافنا بها وإقرارنا بحقها فى الوجود على أرضنا، وتنازلنا لها عن فلسطين بمحض إرادتنا واختيارنا، سيجعل من حربنا معها أصعب لأنها ستكون حربا مع الدول الكبرى التى اعترفت بها.

لذلك أيها الإخوة المسلمون كان لا بد من التذكير لأن الذكرى تنفع المؤمنين، وكان لا بد كذلك من إنكار منكر المفاوضات وبيان كونها من أفظع الجرائم التي ترتكب في حق الأمة والدين والتاريخ، لأن اعترافنا بها سيمنحها الشرعية والدعم الدوليين، وسيكون قتالنا لها بعد ذلك قتالا للعالم الذى اعترف بها. أما إن أنكرنا حقها في الوجود بقيت إسرائيل مجرد تجربة فاشلة سرعان ما تسقط، ولن يكترث بها المجتمع الدولى ولو استمرت مئات السنين.

أما القول بأننا ضعفاء وأن موازين القوى قد أصبحت لغير صالحنا، فهذا قول هراء، وهو قول فاسد، وذلك من وجهين: -

الأول: - إن الضعف ليس علة للتنازل ولا لارتكاب الخيانات والمعاصى والآثام. ولا يوجد أى دليل شرعى يدل على هذا المعنى.

الثاني: - أننا لسنا بضعفاء البتة، فعندنا من القوة ما يكفي لقبر دولة يهود، لأنه لا ينقصنا المال ولا الرجال ولا العتاد. فالذى ينقصنا فقط هو إيجاد دولة الخلافة التى تملك الإرادة والعزم للقيام بتطبيق الإسلام ومقاتلة الكفار وتحرير القدس وما جاورها من الأرض التي باركها الله وسائر بلاد المسلمين.

فإلى العمل لإقامة دولة الخلافة ندعوكم أيها الناس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ❑

واقع المصارف اللاربوية (١)

المنطلقات الأولى:

بدأت الفكرة في ذهن المرحوم الدكتور أحمد عبد العزيز النجار، حينما كان في ألمانيا وتأثر بالمصارف الألمانية، وبعد عودته إلى مصر كافح بعناد لتطبيق الفكرة هناك ونجح عام ١٩٦٣م في ميت غمر وأطلق على تلك التجربة (تجربة بنوك الادخار المحلية) والتي استمرت بين مد وجزر حتى ١٩٦٧/٥/٢٢ حيث وضعت المصارف الربوية يدها على بنوك الادخار وأدخلت فيها الفائدة. يقول الدكتور النجار عن هذه التجربة «إنني أعترف الآن بسذاجة تصوري فلقد كان رأي القوم قد استقر على تصفيتي (...) لقد اكتفوا بأن ينهوا علاقتي بالمشروع الذي أقمته بكلمتين باردتين متغطرستين، أنهى السراج علاقتي بعملي عندما قال لي باسطاً يده «قبلت استقالتك»»[١].

بعد ذلك هاجر بالفكرة إلى السودان وفشل للأسباب نفسها، ثم ظهرت تجربة بنك ناصر الاجتماعي عام ١٩٧١م وهو أول مصرف رسمي قيل عنه إنه يعد من المصارف الإسلامية. يقول الدكتور النجار عن هذه التجربة: «إن المؤسسات أو الهيئات التي تنشئها الدولة إنما تنشأ لتكون عِزَباً وغنائم وإقطاعيات لترضية المحيطين والحواشِي ومن هذا المنطلق اختير للبنك رئيس عاش ومات وهو لا يؤمن بإمكان العمل المصرفي بغير سعر الفائدة»[٢] وأضاف قائلاً: «إننا باستعراضنا لهذا البنك سوف نحرص على أن يكون مركزاً على فكرته النظرية وعلى ما حال دون تحقيق هذه الفكرة فانتهى به الأمر إلى مسخ شائه يكرر، في طفولة وبلاهة، ما تقوم به الأجهزة المصرفية المجاورة العملاقة»[٣].

بعد ذلك برزت فكرة إنشاء البنك الإسلامي للتنمية وهو مصرف حكومات تساهم فيه غالبية الحكومات القائمة في العالم الإسلامي. وشارك الدكتور النجار في مراحل التأسيس وحضر المؤتمرات الممهدة له وقد تحدث عن المؤتمر المنعقد في ١٧ محرم ١٣٩٤هـ/ ٣ آذار ١٩٧٢م تحت عنوان (البنك الإسلامي للتنمية في متاهة المناورات السياسية) قائلاً: «لم نكن نعي أو ندرك أن المصالح العليا للأمة الإسلامية شيء، ولعبة السياسة ومناوراتها وجيوبها وتكتلاتها غير المرئية شيء آخر. دخلنا المؤتمر بكل الأمل والثقة في رموز وممثلي الأمة الإسلامية وعشنا جلسات المؤتمر فخرجنا مثقلين بأغلال من الأسى والحزن ... سوف يرى القارئ كيف يناور السياسيون وكيف يئدون الموضوعية وكيف يلفون ويدورون في إطار جيوب وتكتلات وترتيبات تخضع للسياسة وللعلاقات قبل وفوق خضوعها للمصلحة العامة لعموم الأمة الإسلامية»[٤] ويضيف: «كنا نحسب أن المشاعر الصادقة لخدمة الأمة الإسلامية، وتأكيد هوية متميزة لها في مجال المال والاقتصاد والأخذ بأسباب القوة في المجال الاقتصادي، موجودة لدى الجميع كما هي موجودة لدينا ومن منطلق هذا التصور حرصنا بسذاجة على أن نمعن في شرح وتوضيح الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية لإقامة صرح مالي إسلامي يشكل من الناحية العملية بداية الطريق لزحف الأمة الإسلامية مرة أخرى نحو هامة التاريخ»[٥]. وتم افتتاح بنك التنمية الإسلامي رسمياً عام ١٩٧٥م.

ومن الجدير بالذكر أن بنك التنمية الإسلامي يقرض بفائدة تتراوح بين ٤% و٦%.

وبعد مرور ستة أشهر على توقيع اتفاقية إنشاء البنك الإسلامي للتنمية صدر مرسوم في دبي بإنشاء بنك دبي الإسلامي وذلك في عام ١٩٧٥م، وفي عام ١٩٧٦م تم افتتاح بيت التمويل الكويتي، وفي عام ١٩٧٧م تم افتتاح بنك فيصل الإسلامي المصري، ثم بنك فيصل الإسلامي السوداني، ثم انطلقت المسيرة في تأسيس المزيد من المصارف والفروع حتى بلغ تعدادها العشرات، هذا عدا عن الفروع

للمعاملات الإسلامية التي افتتحتها المصارف الربوية في مصر والأردن وفي أميركا مثل (سيتي بنك).

يقول الدكتور أحمد عبد العزيز النجار: «إن دار المال الإسلامي استطاعت أن تجذب في طليعة مؤسسيها عدداً من رؤساء دول وحكام من بينهم رئيس دولة الإمارات العربية وحاكم عجمان ورئيس جمهورية باكستان وأمير دولة البحرين ورئيس جمهورية السودان ورئيس جمهورية غينيا ورئيس وزراء ماليزيا وعدداً آخر من الصف الأول من الأمراء في السعودية والكويت وقطر، وإن كانت نسبة كبيرة من هؤلاء قدحوا في دار المال فيما بعد وانسحبوا منها بل وهاجموا أسلوب عملها»[٦].

انتقادات أحد أبرز المؤسسين:

لقد تعمدتُ في هذه الكلمة الاستعانة بأقوال الدكتور أحمد عبد العزيز النجار، لأنه كان أول من أطلق الفكرة ومن أوائل من ساهم في تأسيس هذه المصارف، وكذلك الحال بالنسبة للدكتور جمال الدين عطية الذي ساهم في الإعداد لفكرة المصارف اللاربوية منذ عام ١٩٦٧م في كل من الكويت ودبي والسودان وقطر ولوكسمبرج والدانمارك. وبعد مرور سنوات على عمل هذه المصارف ألف الدكتور جمال الدين عطية كتاباً عام ١٩٧٧ من ضمن سلسلة كتب مجلة الأمة تحت عنوان (البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم)، ضمنه كل الثغرات والمخالفات التي اقترفتها هذه المصارف، أما الدكتور النجار فقد ألف كتاباً بعنوان (حركة البنوك الإسلامية: حقائق الأصل وأوهام الصورة) صدر عام ١٩٩٣م يتضمن معاناته في رحلته الطويلة مع هذه المصارف، وكان الدكتور النجار يُلَقّب بأبي البنوك الإسلامية فماذا يقول هذا الأب عن أبنائه؟

يقول الدكتور النجار: «البنوك الإسلامية بالنسبة لي هي قطعة مني وهي تاريخي كله، ارتدت طريقها في فجر الستينيات، وقدمت نموذجها الأول الذي اقتنعت به وما زلت وتعرضت من أجلها للهجرة من البلد وإلى ما هو أكثر من ذلك، وناضلت من أجل إقامتها في السودان، ثم تحملت مخاض ولادة البنك الإسلامي للتنمية، إبان عملي بأمانة منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، وجاهدت لإنشاء أول بنك حكومي إسلامي في مصر (بنك ناصر الاجتماعي)، ولا يكاد يكون هنالك بنك إسلامي أقيم حتى منتصف الثمانينيات إلا وكنت من جنود التأسيس فيه، إما بالدعوة له، أو بالسعي إلى إقناع المسؤولين، أو بتقديم المشورة في خطوات الإنشاء، أو بتعبئة الرأي وحشد التأييد، أو بتجميع المؤسسين أو بالاشتراك في مجلس الإدارة، أو بالإسهام في جهود انتقاء العاملين وتدريبهم. هذا فضلاً عن الكتابة المبكرة عن الاقتصاد الإسلامي، وفكرة البنوك الإسلامية، وشرح فلسفتها، وتأصيل نظريتها، وتوضيح مهمتها ووظيفتها، والدفاع عن قضيتها فوق كل منبر، وفي قلب كل منتدى ...

«لقد أحببت أن أقول ذلك منذ البداية بكل الوضوح، حتى أغلق الأبواب أمام أية مزايدات رديئة أو نفاق بارد، عندما أتحدث بالصراحة الواجبة عن مفارقات التطبيق في مجالات التشغيل وفي نطاق الممارسة.

«هناك حملة على البنوك الإسلامية وهناك تشويه متعمد، وهناك كذب واختلاق، وهناك كيد وافتراء، كل هذا صحيح ومشهود. ولكن هناك أيضاً أخطاء وانتهاكات، مصدرها بالدرجة الأولى عدم الالتزام الواجب من جانب تلك البنوك والعاملين فيها بمقتضى الأسس التي تقوم عليها نظرية البنك الإسلامي. فالحاصل أن هناك عديداً من العمليات والممارسات لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالعملية التنموية أو العملية الإنتاجية: مثل التعامل في العملات الأجنبية مبيعاً وشراءً وهو ما أدى إلى إهدار عشرات الملايين من الدولارات، ومثل التجارة في الذهب والمعادن النفيسة والمضاربة بها. وقد خسرت دار المال الإسلامي عشرات الملايين من الدولارات من جراء المضاربة على الذهب، وواجه بيت التمويل الكويتي خسارة مماثلة بسبب مضاربته على الفضة»[٧].

ويتابع الدكتور النجار قائلاً: «كل أصحاب البنوك الإسلامية هم واحد من اثنين:

١- إما رجل أعمال شغله الأساسي هو الربح، فهو ليس صاحب قضية، وقد شكل الإقبال الكبير من قبل الجماهير على التعامل مع المؤسسات المالية الإسلامية، فرصة نادرة لا تغيب عن حس رجل الأعمال ولا يجيز لنفسه أن يفرط فيها.

٢- وإما رجل أو مجموعة من الرجال ليسوا رجال أعمال ولا هم مؤهلين لذلك لا بالطبيعة ولا بالتعليم. أفضل ما يمكن أن يقال فيهم أنهم بعاطفة إسلامية دافقة، سلكوا طريق إقامة المؤسسات المالية الإسلامية كعملية تعبدية تلقائية، وليس كإجراء مخطط اتقاء للعقوبة المغلظة التي وردت في الكتاب والسنة للذين يأكلون الربا. وقد ترتب على ذلك كل ما يخطر على البال من أسباب الخروج عن الالتزام وانتهاك الوظيفة»[٨].

ويضيف النجار «منذ بدأت التجارب المصرفية الإسلامية عملها، والخلل واقع في الأداء، والمفارقات قائمة بين النظرية والتطبيق. وذلك هو المعنى الذي أقصده حين أقول وأكرر القول بأن البنوك الإسلامية لم تبدأ بعد»[٩].

ويضيف: «في المؤتمر الإسلامي الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في تشرين الأول ١٩٨٧م كنت قد وصلت إلى مرحلة اقتناع باستحالة تصحيح مسار المؤسسات المالية الإسلامية القائمة، فأعلنت في المؤتمر بكل صراحة أن هناك خللا وقع. خلل في الالتزام بأساسيات النموذج الاقتصادي الإسلامي، وخلل في فهم المقاصد والغايات، وخلل بالتبعية في آلية وإجراءات التطبيق، لم أصل حتى الآن إلى نتيجة، ولم يصل صوتي بعد إلى الآذان الساهمة، والمشاعر المخدرة، ولكن أيا ما كان الأمر، فلن يسكت لي صوت ولن يغمد لي قلم، وسأظل أهتف بالحق وأشغب به حتى يصح الصحيح بإذن الله»[١٠].

يتابع الدكتور النجار قائلا: «إن البنوك الإسلامية، في الوقت الذي تمثل فيه مشروعات اقتصادية وتنموية، تعبر عن عقيدة ووجدان الأمة الإسلامية باستنادها إلى الإسلام، فإن لها بعدها السياسي شئنا أم أبينا باعتبار أنها وسيلة من وسائل التغيير وصياغة الواقع على نحو جديد، وأؤكد عن يقين ومعرفة أن ذلك البعد السياسي غير مقصود على الإطلاق من مؤسسي البنوك الإسلامية. وآية ذلك أن نشأة البنوك الإسلامية لم تكن إجراء مخططا ومنظما، وإنما كان إما مشروعا تجاريا ناجحا عند البعض، أو فرارا من الربا والتعامل به عند البعض الآخر، ولو أن الأمر كان يمضي في تخطيط مرسوم، ما كان له أن يمضي على هذا النحو. ومن شواهد ذلك وأدلة النفي عندي ما نشرته الصحف يوما عن الدعوة التي وجهت لإنشاء بنك إسلامي خارج البلاد الإسلامية وأدرجت كافة أسماء الرموز الحركية الإسلامية في مقدمة مؤسسيه، فلو كان الداعون إلى إنشاء البنك يقصدون أهدافا سياسية من وراء البنوك الإسلامية لما فعلوا ذلك، لأنه كان بمثابة بيان مشهر عن اجتماع قوة المال لديهم مع قاعدة الحركة الإسلامية، ومن المستبعد أن نقول إن صدور مثل هذا الإعلان كان غفلة منهم بحكم ثقافتهم وتمرسهم، ولو جاز أن يكون غفلة فإنه في هذه الحالة يكون مدعاة لطمانة أهل الشأن وإزالة مخاوفهم وتبديد هواجسهم، لأنه يوم أن يكون أصحاب المقاصد السياسية بهذه الغفلة فإنهم لا يخيفون»[١١] ❑

المصادر والمراجع:

(١) النجار، د. أحمد عبد العزيز، حركة البنوك الإسلامية (حقائق الأصل وأوهام الصورة)، شركة سربرينت، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٠٣.
(٢) المرجع نفسه، ص١١٤.
(٣) المرجع نفسه، ص١٠٧.
(٤) المرجع نفسه، ص١٦٩.
(٥) المرجع نفسه، ص١٧٩.
(٦) المرجع نفسه، ص٥٦٧.
(٧) المرجع نفسه، ص٥٨٧، ٥٨٨.
(٨) المرجع نفسه، ص٥٩٣.
(٩) المرجع نفسه، ص٥٩٥.
(١٠) المرجع نفسه، ص٥٩٧.
(١١) المرجع نفسه، ص٥٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة الإسلامية

قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقال جل وعلا: ﴿واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» رواه مسلم.

جعل الله رسالة الإسلام عالمية للعرب وغيرهم قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ وقال ﷺ: «بعثت إلى كل أحمر وأسود». ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان كل من يسلم معهم يصبح واحداً منهم عربياً كان أم غير عربي، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، قال تعالى: ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ وقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فارتبط المسلمون برابطة الأخوة الإسلامية، بمجرد دخولهم في دين الله.

يقول القرطبي في تفسير آية ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل إن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فان أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، قال القرطبي رحمه الله «كونوا عباد الله إخوانا» في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال ﷺ: «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»، وفي فتح الباري في شرح هذا الحديث: "وكونوا عباد الله إخوانا" هذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم في الحديث، كأنه قال إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا، ومفهومه إذا لم تتركوها تصيروا أعداء، ومعنى كونوا إخوانا اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا، مما سبق ذكره، وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتاً ونفياً، وقوله: "عباد الله" بحذف حرف النداء، وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله، فحقكم أن تتآخوْا بذلك.

وقال ابن عبد البر: تضمن الحديث تحريم بُغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعي، والحسد له على ما أنعم به عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، وأن لا ينقب عن معايبه، ولا فرق في ذلك بين الحاضر والغائب، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذلك.

والأخوة الإسلامية هي من ركائز الحياة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، وقد غفل عن مقتضياتها كثير من المسلمين إما جهلا أو قصدا، بسبب الضعف الذي طرأ على أذهانهم، في فهم أحكام دينهم، وبسبب تطبيق قوانين الكفر عليهم. ولهذا فهم لا يتصرفون بحسب مقتضيات هذه الأخوة مقتصرين منها على الدعم المعنوي والإرشادي للمسلمين، متناسين أن الأخوة الإسلامية تقتضي أن ينظر إلى مشاكل المسلمين باعتبارها مشكلة لكل واحد منهم، فما يصيب المسلمين في القوقاز وكشمير والفلبين، وما لحقهم في كوسوفا والبوسنة، وما يعانيه بشكل متواصل أهل فلسطين ولبنان والجولان، يجب أن يحس به كل مسلمي الأرض كما يحسه الذين يقع عليهم القهر والعدوان سواء بسواء.

وقد آخى الرسول ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقد جعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وجعل أبا بكر وخارجة بن زهير أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ...، وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده

الرسول ﷺ في بناء المجتمع بتكريس الأخوة بين المسلمين، بغض النظر عن اختلاف ألوانهم وأعراقهم ولغاتهم، فالرسول ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»، فالإسلام قد عمل على إيجاد المحبة والألفة بين المسلمين، واعتبر ذلك من علامات الإيمان، قال ﷺ : «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا»، ويقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقد دعا الإسلام أيضاً إلى إفشاء المحبة بين المسلمين، قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

ومن مقتضيات الأخوة النصرة قال ﷺ: «أنصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً» والنصر يكون كما حدده الشرع الإسلامي، لا كما يقتضيه العقل والمصلحة، فنصرة المسلم الذي يحتاج إلى سلاح ورجال لا تكون بإرسال شحنات الأغذية، ولا بمطالبة مجلس الأمن ولا باستجداء أميركا، أو بإرسال المعونات الطبية وفرق الإنقاذ، ولا بإرسال السجاد للمسجد الأقصى، والنصرة هنا تعني رفع الظلم والعدوان، وذلك بتسيير الجيوش الجرارة، كما أمر الشرع، كما أن المسجد الأقصى بحاجة إلى تحرير وليس بحاجة إلى تعمير.

ومن مقتضيات الأخوة الموالاة بين المؤمنين وعدم موالاة الكفار، قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾، وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾.

ومن مقتضياتها أيضاً القضاء على النعرات والعصبية القبلية والقومية والمذهبية، والتي هي من عوامل تحطيم الوحدة الإسلامية، واعتبرها الإسلام نوعاً من الجاهلية، فلا يوجد في الإسلام قوميات، ولا يوجد ما يسمى بالأخوة العربية أو الأخوة التركية أو الأخوة الفارسية، وقد دعا الإسلام إلى إزالة الفروق والطبقية بين المسلمين ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وأقر بأن المجتمع الإسلامي مجتمع متماسك كالجسد الواحد وكل عليه مسؤوليته ولا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة المجموع، كما لا يتم سحق الفرد وتذويبه في مصلحة المجتمع. قال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

هذا ما سار عليه الصحابة ومن بعدهم وما فهموه من جملة الأحكام في الأخوة الإسلامية، فلم تكن شعارات تطلق وإنما ممارسات فعلية، حتى إن الأخوة الإسلامية تعدت ذلك، فقد روي عن ابن عباس قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخاهم بها النبي ﷺ، وقد نسخ هذا فيما بعد، قال تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾.

والأخوة الإسلامية لا تعني التابعية، فالأخوة تكون في حال وجود الدولة، وفي حال عدم وجودها، إلا أن تحقيق الأخوة بالشكل الكامل تكون في ظل الدولة الإسلامية التي تنظم العلاقات في المجتمع بحسب أحكام الشرع الحنيف.

قال ابن عبد البر: كانت المؤاخاة مرتين: مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار، بعد الهجرة.

وعلى هذا فما أحوجنا في هذه الأيام إلى الأخوة الإسلامية، للعمل على حل جميع مشاكلنا، واسترداد حقوقنا، بإقامة الدولة الإسلامية ونبذ كل الخلافات، وإزالة كل العوائق التي وضعها الاستعمار وعملاؤه لإبقاء البلاد الإسلامية مقسمة إلى دويلات هزيلة، فهيا إلى إزالة الحدود المصطنعة التي فرقت الأخوة ومزقتها لتعود هوية المسلم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، بلا حدود ولا فواصل، فيحس كل مسلم أن معه مئات الملايين من المسلمين، يشعرون معه، ويتألمون لألمه، ويفرحون لفرحه، وفي ذلك دعم لمعنويات المسلمين في مواجهة أعدائهم، وفي عملهم المبرور لرفع راية الإسلام ❑

سفارات بين موريتانيا وإسرائيل

برعاية أميركية، ممثلة بوزيرة الخارجية أولبرايت، تم توقيع اتفاق إقامة علاقات ديبلوماسية بين جمهورية موريتانيا (الإسلامية) ودولة يهود، وهذه ثمرة اللقاء الصباحي الذي رتبته أولبرايت بين ممثلين عرب وإسرائيل في نيويورك حضره إلى جانب الدول التي تقيم علاقات مع إسرائيل، وهي مصر، والأردن، وقطر وعمان وتونس والمغرب إضافة إلى سلطة عرفات، ممثلو السعودية واليمن والإمارات والبحرين وموريتانيا، وكانت الدعوة فيه صريحة، لإيجاد أجواء جديدة من العلاقات السلمية. وهناك أخبار عن اتصالات إسرائيلية مع كل من اليمن والبحرين لإقامة علاقات معهما ومن المفارقات العجيبة، أن موريتانيا قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع العراق على خلفية استتكار العراق لموقف موريتانيا، وأن الجامعة العربية انتقدت الموقف الموريتاني باعتباره سابقا لأوانه، ولم يتم بالتنسيق مع دول الجامعة العربية ❑

البعد الداخلي للحرب على الشيشان

في مقابلة مع إذاعة «صدى موسكو»، أشار رئيس البرلمان الروسي السابق، رسلان حسبولاتوف، وهو شيشاني، أن المقاتلين الشيشانيين يحصلون على المال والسلاح «من روسيا، وتحديدا من موسكو، وليس من أسامة بن لادن»، وأن الحكومة الروسية، إذا أرادت فعلا «إبادة إرهابيين»، فإنها يجب عليها أن تبدأ بإزاحة «مرتشين ومفسدين» في موسكو. في هذا الوقت، حذر الجيش على لسان الجنرال شامانوف، قائد المجموعة الغربية في الشيشان، من احتمال اندلاع حرب أهلية في روسيا إذا قررت القيادة السياسية وقف القتال في القوقاز، كما أن عمدة موسكو لوجكوف، اعتبر أن يلتسين لا يتولى إدارة الدولة، وإنما ديوان الرئاسة هو الذي يدير البلاد، وأن دور المحيطين بيلتسين يزداد مع تدهور صحته. واعتبر هذان التصريحان بمثابة تهديد مزدوج إلى القيادة السياسية في موسكو. وهذا يعكس الوجه الداخلي المرتبط بالانتخابات التشريعية والانتخابات الرئاسية، للعدوان الفاشم المستمر على الشيشان خاصة وأهل القوقاز عامة ❑

مسلسل تفتيت إندونيسيا

أعلن ناطق باسم الجيش الإندونيسي، أن القوات الخاصة التي أرسلت مطلع هذا العام إلى إقليم اتشاي سوف تبدأ الانسحاب قبل نهاية شهر تشرين الثاني/ نوفمبر الحالي. وكانت هذه القوات قد أرسلت إلى إقليم اتشاي من أجل السيطرة على الوضع هناك، بعد أن أدت الاشتباكات هناك إلى مقتل حوالي ألقي شخص خلال العقد الماضي. جدير بالذكر أن هذا الإقليم يطالب بالاستقلال عن الدولة الإندونيسية، فهل يتنازل عنه وحيد الرحمن، كما تنازل سلفه حبيبي عن إقليم تيمور الشرقية؟! هذا وقد أعلن وحيد عن اعتماده الفيديرالية في إدارة إندونيسيا، وسيخصص جزء كبير يصل إلى ٨٠% من ثروة كل إقليم لميزانية الإقليم، وما زاد عن النسبة المقررة يرسل إلى جاكارتا، وفي ذلك تكريس لاستقلالية الأقاليم المالية عن العاصمة، بل واعتماد العاصمة على ما يصلها من الأقاليم ❑

تهافت أباطيل يهود

أعلن البروفوسور زئيف هرتزوغ، وهو عالم آثار من جامعة تل أبيب بفلسطين المحتلة، أن عمليات تنقيب آثار استمرت سبعين سنة أكدت شكوكا في الروايات التوراتية عن الخروج من مصر وسنوات التيه في سيناء. وقال: إن هذه الأمور لم تحدث كما روتها التوراة. وزاد: إن مملكة النبي داود والنبي سليمان (عليهما السلام) لم تترك آثارا تذكر، وإنها ربما لم تتجاوز حكما عابرا في منطقة صغيرة حول القدس. فهل سيواصل يهود، بعد هذا، أباطيلهم بشأن أرض الميعاد، وأحقيتهم التاريخية في أرض فلسطين المسلمة؟! ❑

علاقة الدين بالدولة

إفتتح يوم الجمعة ٩٩/١٠/٥ رئيس جمعية الصحفيين والكتاب، هارون طوقان، ندوة في اسطمبول حول موضوع «علاقة الدين بالدولة» شارك فيها ١٨ أكاديميا ومفكرا من مختلف أنحاء العالم بينهم يهود ونصارى إلى جانب الأكاديميين الأتراك. وهذه هي المرة الأولى التي تتم فيها دراسة هذا الموضوع دراسة أكاديمية هادئة بعيدا عن الإرهاب الفكري والسياسي. وقدم البروفسور محمد إيدن الأستاذ في جامعة ٩ أيلول بحثا حول «علاقة الدين مع الدولة في المذهب السني» جاء فيه: إن القرآن الكريم لم يحدد شكل الحكم، ولم تكن الدولة في الإسلام ثيوقراطية أو دولة مقدسة على الإطلاق، ولم تكن الدولة الإسلامية تملك سلطة روحية

أو معنوية، ولكن كانت هناك علاقات مهمة بين الدين والدولة في الإسلام. وحسب المذهب السني، فالدين والدولة توأمان.».

الوعي: صحيح أن الدولة الإسلامية ليست دولة ثيوقراطية إذ ليس خليفة المسلمين ظل الله في الأرض، وبالتالي فالدولة والخليفة ليسا مقدسين، ولكن شكل الحكم في الدولة الإسلامية حدده فعل الرسول، وأصحابه من بعده، في هيكلية الدولة وأجهزتها وقواعد الحكم. فالدولة الإسلامية دولة بشرية، دستورها وقوانينها أحكام شرعية مستنبطة من الأدلة الشرعية المعتبرة باجتهاد صحيح ❑

«المهاجرون» يهنئون مشرف

زار أعضاء في «المهاجرون» في باكستان، صبيحة يوم ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر مقر الجنرال مشرف، لتقديم دستور كامل لتحويل باكستان إلى دولة إسلامية، وقد جرى بحث عدد من المواضيع، كان أولها وأهمها تهنئة الجنرال مشرف على إزاحة نظام نواز شريف الفاسد، ثم تقديم دستور كامل للدولة الإسلامية من أجل تنفيذه. وجرى بحث النقاط الأساسية في الدستور من ناحية تطبيقها. ومن المواضيع التي جرى بحثها: العلمانية، واتفق على أن السياسة جزء من الإسلام، والديمقراطية، واتفق على أنها ليست جزءا من الإسلام، والكمالية، واتفق أيضا على أن سياسات وتوجهات مصطفى كمال كلها كفر. أما بالنسبة لنظام الحكم فلم يكن هناك اختلاف بشأن التركيبة الحكومية، وتقرر إجراء لقاء آخر مع حلقة المفكرين من أجل تفسير أعمق للدستور، والخطوات العملية المطلوب اتخاذها من أجل تطبيق الإسلام.

ويلاحظ أن التوتر بين الجماعات الإسلامية، والنظام الجديد في باكستان، قد خفت حدته، بعد اعتذر مشرف عن تصريحاته بشأن إعجابه بمصطفى كمال، وأنه مصدر وحي له، وبعد أن رفع الحظر عن دخول زعيم الجماعة الإسلامية مدينة بيشاور ❑

الأساقفة والفتح الإسلامي

شن أسقف أزمير الكاثوليكي هجوما على الإسلام، في كلمة مكتوبة موجهة إلى مجمع الأساقفة الأوروبيين بحضور البابا، وناشد البابا عقد اجتماع استثنائي للتعامل مع «مشكلة المسلمين في الدول المسيحية.» واعتبرت كلمة الأسقف أعنف الكلمات التي ألقيت في الفاتيكان ضد الإسلام في العصر الحديث، وجاءت متعارضة مع سياسة البابا الداعية إلى الحوار ـ المسيحي ـ الإسلامي. وجاء في كلمته أن العالم الإسلامي بدأ سيطرته بفضل دولارات النفط التي، في نظره «لا تستخدم في خلق فرص عمل جديدة في الدول الفقيرة في إفريقيا الشمالية أو في الشرق الأوسط وإنما في بناء مساجد ومراكز ثقافية للمسلمين المهاجرين إلى دول مسيحية بما فيها روما عاصمة المسيحية» وتساءل: «كيف يمكننا أن لا نرى في كل ذلك برنامجا للتوسع وفتحا جديدا؟».

وقد بدأ مجمع الأساقفة الأوروبيين أعماله في أول تشرين الأول/ أكتوبر، واستمر إلى ٢٣ الشهر نفسه. وأبدى الأسقف اعتقاده أنه في الوقت الذي يجب فيه التفريق بين «الأقلية المتعصبة العنيفة» و«الأكثرية الهادئة والمعتدلة» فإنه حتى المسلمون المعتدلون سينفذون دون تردد الأوامر الصادرة باسم الله والقرآن. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ ❑

فتحي يكن مع انفتاح الحضارات

ألقى فتحي يكن كلمة في حفل تكريم يوسف كرم، قال فيها: «لم يكن يوسف كرم رمزا مارونيا يطل على لبنان من الشمال، بل كان رمزا وطنيا، ولم يكن زعيما مسيحيا يطل على العالم من لبنان، بل زعيما عربيا لبنانيا»، وأضاف: «لقد جسد يوسف كرم منذ أكثر من قرن مضمون خطاب رئيس الجمهورية (إميل لحود) الذي ألقاه في القمة الفرنكوفونية بكندا حيث قال: كل إنسان مشابه لكل الناس، مشابه لبعض الناس، غير مشابه لأحد. يعني أن فهم الإنسان يحتم الأخذ في عين الاعتبار المقاييس الثلاثة: شموليته كعضو في المجموعة الإنسانية، وخصوصيته كعضو في مجموعة ثقافية معينة، وميزته كعضو يجمع بين تطلعه الطبيعي للشمولية، وانتمائه الثقافي الخاص ـ مما يعني أن فكرة الشمولية لا يمكن أن تتحقق إلا بانفتاح الثقافات على بعضها عبر الحوار بين هذه الثقافات» ❑

اتصالات أميركية سودانية

في الوقت الذي تسير فيه الدولة السودانية المظاهرات الصاخبة ضد المبعوث الأميركي، هاري جونستون، متهمة إياه بالانحياز إلى متمردي جنوب السودان، يلتقي سفير السودان في مصر أحمد عبد الحليم في مقر السفارة السودانية المبعوث الأميركي نفسه، ويشرح له

الخطوات التي تقوم بها حكومة البشير من أجل المصالحة الوطنية، وإرساء الديمقراطية، وحل مشكلة متمردي الجنوب. جاء ذلك بعد نصيحة القاهرة للخرطوم بعدم إغلاق الأبواب مع أميركا. جدير بالذكر أن أولبرايت أعلنت أنها لا تؤيد المبادرة المصرية ـ الليبية للمصالحة الوطنية في السودان، وتصر على تأييد مبادرة إيفاد التي تهتم بحل مشكلة التمرد في جنوب السودان، دون البحث في المصالحة الوطنية الشاملة ❑

علاقات إندونيسية ـ إسرائيلية

ذكرت وكالة «انتارا» الإندونيسية الرسمية، أن إندونيسيا ستمضي قدما في خطتها لإقامة علاقات تجارية مع إسرائيل. ونقلت عن الرئيس وحيد قوله: أدعو الذين يعارضون ذلك أو لا يريدون التفهم أن يفهموا، وأن على إندونيسيا أن تتمكن من إقامة علاقات اقتصادية مع أي دولة في العالم بما في ذلك إسرائيل، وبرر موقفه هذا بأن عددا من الدول الإسلامية (كذا) تقيم دون ضجة علاقات تجارية مع تل أبيب، وهو لا يريد أن يكون «منافقا» مثلهم، لأن إقامة علاقات تجارية مع إسرائيل هو للتمتع بمزايا اقتصادية. والأنكى من ذلك، أن الجماعات الإسلامية في إندونيسيا، لم تعترض على هذه العلاقات من منطلق شرعي، ولكنها تخشى أن إقامة العلاقات مع تل أبيب قد يعرض علاقات إندونيسيا مع الدول المسلمة للخطر ❑

زعيم «الفضيلة» يجتمع باليهود

غادر زعيم حزب الفضيلة التركي رجائي قطان اسطمبول متوجها إلى واشنطن للاجتماع مع مسؤولين أميركيين على رأسهم مساعد وزيرة الخارجية للشؤون الأوروبية، ونائب وزير الدولة لحقوق الإنسان والديمقراطية، ثم ينتقل إلى نيويورك للقاء زعماء الجاليات اليهودية، كما أورد تلفزيون «إن تي في». جدير بالذكر أن المدعي العام التركي طالب بحل حزب الفضيلة، ومنع قادته من العمل السياسي لمدة خمس سنوات، لأنه يعتبر الفضيلة امتدادا لحزب الرفاه الذي قضت المحكمة الدستورية بحله في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٨. كما أمرت السلطات التركية بتجميد أموال عدد من قادة الرفاه، لاتهامهم بعدم الإفصاح عن مصير الملايين من الدولارات التي كانت في صندوق الحزب قبل حله ومنها مساعدات من الحكومة التركية ❑

علاقات مشرف بالأميركان

في الأيام الثلاثة الأول من انقلاب مشرف، اجتمع مع السفير الأميركي لمدة ساعتين، وكان هناك مؤتمر صحفي للسفير الأميركي، عقب خطاب مشرف الموجه إلى الباكستانيين، رحب فيه السفير الأميركي بما ورد في خطاب مشرف من إشارات تهدئة مع الهند تمثلت في انسحاب القوات الباكستانية عن الحدود مع الهند، وأرسل مشرف موفدا له إلى واشنطن اجتمع مع صندي بيرغر، مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي، الذي توقع أن لا ترفع أميركا العقوبات الاقتصادية عن باكستان قبل عودة الديمقراطية، كما رحب السفير الأميركي بالطابع المدني في الحكومة ومجلس الأمن القومي، وكذلك وجود العنصر الرئاسي في الحكومة (امرأة) وفي مجلس الأمن القومي (امرأة أخرى). وكذلك سبق أن صرح الرئيس كلينتون، أن ما جرى في باكستان شأن داخلي، وأن أميركا لا تفرض على الآخرين من يحكمهم. والواضح أن أميركا لا تأخذ على الانقلابيين إلا أنهم أطاحوا حكومة منتخبة، وهو موقف يقصد منه ترضية الداخل الأميركي ❑

صراع بوتفليقة والعسكر

لم يتمكن بوتفليقة من تشكيل حكومة جزائرية جديدة رغم أنه تسلم منصب الرئاسة منذ أكثر من ستة أشهر، وكان المفروض أن تعلن التشكيلة عقب انتهاء مؤتمر القمة الإفريقية الذي استضافته الجزائر، ولكن التشكيلة الحكومية لم تعلن حتى بعد احتفالات الثورة الجزائرية، ويعزو المراقبون ذلك إلى أن الجيش وبخاصة المخابرات العسكرية وزعيمها الجنرال توفيق تعارض استعانة بوتفليقة بضباط سابقين من جهاز المخابرات، وأبرزهم: العميد المتقاعد زرهوني، الذي يصر بوتفليقة على تعيينه أمينا عاما لوزارة الدفاع الوطني، وكان مثل بلاده في المكسيك واليابان وأميركا. ثم العقيد رشيد عيسات، وكان شغل منصب ملحق عسكري في السفارة الجزائرية بدمشق. ثم الجنرال بن عبد الله سليم، الذي كان نائبا لرئيس المخابرات الحالية الجنرال محمد مدين (توفيق) وكان شغل منصب ملحق عسكري في السفارة الجزائرية بواشنطن ويريد بوتفليقة تكليفه الإشراف على مراسم رئاسة الجمهورية بالإضافة إلى الحماية الشخصية للرئيس. فهل سيصمد بوتفليقة أمام مداخلات الجنرالات أم يكون مصيره كمحمد بوضياف أو ينسحب في أوائل العام القادم كما فعل سلفه زروال؟ ❑

صلح الحديبية

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرفه من غزوة بني المصطلق، رمضان وشوال، وخرج في ذي القعدة معتمراً، لا يريد حرباً، وإنما يريد تعظيم البيت الحرام. وساق معه الهدي، وكانت سبعين بدنة، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي ليخرجوا معه، وكانوا جميعاً بضع عشرة مائة (وعند ابن إسحاق أنهم كانوا سبعمائة بتقدير أن لكل عشرة رجال بدنة)، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائراً للبيت الحرام ومعظماً له. فلما بلغ خروجه قريشاً، خرجوا صادّين لرسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وقدّموا خالد بن الوليد (ولم يكن قد أسلم بعد) في خيلهم، فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ قال: «يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوْا بيني وبين سائر العرب ... فوالله، لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة»، ثم مال بهم رسول الله عن طريقهم التي هم بها، وخرج إلى الحديبية من أسفل مكة، فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد، أرسلوا إلى قوممم يعلمونهم بوصول محمد ﷺ، أما ناقة الرسول، فبركت عند الحديبية، فقال رسول الله ﷺ: «حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة رحم إلاّ أعطيتهم إياها».

ثم جرت السفارات بين رسول الله ﷺ، وبين كفار قريش، وكل سفراء قريش يعودون بانطباع واحد، وهو أن محمدا لا يريد حربا، وإنما جاء زائرا للبيت، وكان من تدبيره ﷺ أن يطلع السفراء على الهدي الذي ساقه ليتأكدوا من أنه يريد الاعتمار، وكان ما شاهده أحد سفراء قريش، عروة بن مسعودالثقفي، من تعلق أصحاب محمد برسولهم، أن رجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه. وإني والله، ما رأيت ملكا في قوم قط، مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا، فروا رأيكم.

ثم بادر رسول الله ﷺ بإرسال سفير إلى قريش، لينقل إليهم أن محمدا ما جاء لحرب، وإنما جاء زائرا ومعتمرا، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فاعتذر ابن الخطاب، أنه يخاف قريشا على نفسه، إذ ليس له بمكة من يمنعه، ولشدة عداوته لقريش وغلظته عليها، وأشار على الرسول ﷺ بإيفاد عثمان بن عفان، فبعثه رسول الله إلى أبي سفيان وأعيان قريش. فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص، فحمله بين يديه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ إلى أشراف قريش، وعرضوا عليه أن يطوف بالبيت العتيق، فأبى إلا أن يطوف رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فدعا رسول الله الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا

قريباً ﴾، وروي أن البيعة كانت على الموت، بينما كان جابر بن عبد الله يقول، إن رسول الله ﷺ بايعهم على أن لا يفرّوا، وبايع رسول الله ﷺ لعثمان، بأن ضرب بإحدى يديه على الأخرى.

ثم إن قريشاً بعثت سهيل بن عمرو، ليعقد مع رسول الله صلحاً بشرط أن يعود محمد ومن معه عامهم ذاك، وتمّ الصلح على أن ينصرف رسول الله ﷺ عامه ذاك، فإذا كان العام الذي بعده، أتى معتمراً، ودخل هو وأصحابه مكة بغير سلاح، إلا السيوف في قُرَبها، فيقيم بها ثلاثاً ثم يخرج، وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام، يتداخل فيها الناس، ويأمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من جاء محمداً من الكفار مسلماً، ردّه إلى الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتداً لم يردّوه إلى المسلمين. فعظم هذا الشرط على المسلمين، حتى إن عمر بن الخطاب راجع أبا بكر في ذلك، فقال له أبو بكر: يا عمر، إلزم غرزه (أي أمره)، فإني أشهد أنه رسول الله. ثم إن ابن الخطاب راجع رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني. وقد دخلت خزاعة في عقد رسول الله وعهده. كما دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. ثم جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، فردّه رسول الله إلى قريش قائلاً له: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من كتاب الصلح بينه وبين المشركين، قال لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا، يريد أن يتحللوا ليعودوا إلى المدينة من غير أن يعتمروا، فلم يستجب منهم أحد، وكرّر دعوته لهم ثلاثاً، ولم يقم منهم أحد، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها (وكان من عادته ﷺ أن تصحبه إحدى نسائه في غزواته)، فذكر لها ما لقي من المسلمين، فأشارت عليه أن يخرج إلى الناس، فلا يكلم منهم أحدا حتى ينحر البدن ويحلق، ففعل، فلما رأى الصحابة ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، فكانت مشورة أم سلمة رضي الله عنها في وقتها، وجنبت المسلمين سخط الله ورسوله.

ولما رجع رسول الله إلى المدينة، جاءه أبو بصير، رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، تنفيذا لبنود صلح الحديبية، فدفعه رسول الله إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فاحتال أبو بصير عليهما، فأخذ سيف أحدهما فضربه به فقتله، وفر الآخر، حتى أتى المدينة، يشكو فعلة أبي بصير إلى رسول الله، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، وفهم أبو بصير أن رسول الله سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وكذلك انفلت أبو جندل من أعدائه فلحق بأبي بصير، وصار كل من يسلم من قريش يلتحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، صارت تعترض عير قريش، فيقتلونهم ويأخذون أموالهم، ما اضطر قريشا أن ترسل إلى رسول الله ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، وهكذا كان الشرط، الذي شق على المسلمين قبوله، وبالا على قريش، حتى تنازلت عنه، وكان ذلك من فضل الله على نبينا وعلى المسلمين.

وقد كان صلح الحديبية نصرا للمسلمين، إذ اعترفت قريش بكيان الإسلام في المدينة وعقدت معه صلحا، وكان وقف اعتداء كفار قريش على المسلمين فرصة مواتية ليبعث رسول الله ﷺ رسله إلى أطراف الجزيرة وما وراءها، تكريسا لعالمية الدعوة الإسلامية، ثم كانت معاهدة الحديبية أخيرا، الطريق إلى فتح مكة المبين. وفي صلح الحديبية نزل قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾. وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام من قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام ❑

صحابيـــات حـــول الرســـول

سـميّـة أم عمّـار

في هذه الكلمة سأتشرف بالحديث عن صحابية جليلة وبطلة عظيمة، هي سمية بنت خُبّاط، أول شهيدة في الإسلام، لعل مواقفها الإيمانية تكون نبراساً للمسلمات اليوم، فيترسمن خطاها، ويشاركن في عملية النهوض التي تتفاعل في جنبات الأمة.

عندما قدم ياسر بن عامر من اليمن إلى مكة، اختار أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي حليفاً له، وعاش ياسر في كنفه، حيث زوّجه بسمية التي كانت أثيرة عنده. وقد أثمر هذا الزواج مولودين هما عمار وعبد الله. وعاشت هذه الأسرة في أمان واستقرار في مكة إلى أن جاء ذلك الخبر الذي زلزل الحياة في مكة والجزيرة، حيث أخذ الناس يتناقلون نبأ ظهور نبي، هو محمد بن عبد الله، وما يدعو إليه من عبادة الله الواحد الأحد. فأعجب ياسر بدعوته وآمن بالنبي الكريم، وكذلك زوجته وولداه، وجهروا بإيمانهم على الرغم من تعذيب قريش المفزع لمن يتخلى عن عقيدتهم المشركة، فقامت الدنيا ولم تقعد ... إذ جاءت بنو مخزوم إلى ياسر وعائلته، وتوعدوهم بالعذاب إن هم لم يرجعوا عما آمنوا به، فما كان من تلك الأسرة الكريمة إلا أن عاندت الكفار وأصرت على الإسلام، فأسرع الطغاة الجبابرة إلى تقييد ياسر وزوجته وعمار، وجرهم إلى بطحاء مكة، حيث الرمال الساخنة والشمس المحرقة، ثم انهالوا عليهم ضربا بالسياط وركلا بالأقدام، غير مبالين بالمرأة المسنة، هذه المرأة التي فجرت حقدهم وغيظهم بإصرارها وصلابة إيمانها ...

أما الرسول الأكرم، فكان البلسم الشافي لجروح آل ياسر، والمؤنس لهم بين الكفار، حيث كانت السعادة تغمرهم عندما يسمعون رسول الله يقول لهم: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»؛ عبارة كانت زادا إيمانيا وروحانيا، ودفقا من عزيمة تسري في أرواحهم، فيصبرون على الأذى، والحنين إلى الجنة يدغدغ قلوبهم ويخفف عنهم الألم، ويزيدهم صبراً ...

وجاء زعيم بني مخزوم، رأس الكفر وفرعون تلك الحقبة، أبو جهل، فدعا سمية إلى النكوص عن الدين الذي آمنت به، فما زادها ذلك إلا رسوخاً وثباتاً على الحق، وهددها، فما زادها تهديده إلا إصراراً وعناداً، فطاش عقل الرجل، وأهوى برمحه على بطنها، فقضت سمية شهيدة في سبيل دين محمد ﷺ، وذهب أبو جهل بخزي الدنيا والآخرة ...

ألا يرفع من شأن المرأة أن يكون أول من استشهد في سبيل الله امرأة؟ ألا يدعو ذلك نساء المسلمين أن يتذكرن ويحفظن ما لهن من أمجاد؟ ألم يَئْنِ لنسائنا أن ينهضن وأن يمددن أياديهن للمساهمة في نهضة الإسلام المعاصرة وصحوته الكبرى؟...

إن خيال أولئك النساء القادمات مع الفجر الجديد سوف يغدو حقيقة واقعة فقد بدأت طلائعهن تهل مع بشائر النصر لديننا، بشائر النصر التي تلوح في أفق الإسلام الساطع من جديد، وفي ظل الخلافة الإسلامية رغم أنف المعتدين الباغين، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ صدق الله العظيم ... ❑

قارئة مسلمة

السببية

ورد في قاموس الصحاح أن لفظة السبب تعني كل شيء يتوصل به إلى غيره، وقد استعملها العرب الأقحاح بهذا المعنى فقد قال زهير:

ومَنْ هَابَ أسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ولَوْ رَامَ أسْبَابَ السَمَاءِ بِسُلَّمِ

كما وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضا قال تعالى: ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ وفسرها الزمخشري بقوله فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش. إذاً فالسبب هو كل شيء يتوصل به إلى غيره. وكذلك وردت في اصطلاح الأصوليين بهذا المعنى، فقد عرفوا السبب بأنه لفظ ظاهر منضبط دل الدليل السمعي على كونه معرفا لوجود الحكم لا لتشريع الحكم، وكما قالوا بأن السبب ما يلزم من وجوده وجود ومن عدمه عدم، مثل كون العقود الشرعية سببا في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك، أو مثل حصول النصاب سبب في وجوب الزكاة. فحين نستعمل لفظة السبب في قولنا مثلا أسباب الإرث أو أسباب التملك أو ربط الأسباب بمسبباتها، فإننا نعني كل ما يتوصل به إلى غيره، ولا نعني غير ذلك مطلقا، فواسطة التوصل إلى الغير هي السبب والغير هو المسبب.

أما السببية فهي ربط الأسباب بمسبباتها، وهي القاعدة العملية التي يتم بموجبها إنجاز الأعمال وتحقيق الأهداف، مهما كانت هذه الأعمال بسيطة أو معقدة، ومهما كانت هذه الأهداف قريبة أو بعيدة. فطالب العلم حين يدرس ويفهم ويعي مادة البحث المقررة، وحامل الدعوة حين يتصل بالناس وحين يوزع المنشورات، وحين يتابع الأحداث السياسية في العالم، كل ذلك من قبيل الأخذ بالأسباب أي ربط الأسباب بمسبباتها. أما حين نعمل لعودة الإسلام عن طريق خطب الجمعة، أو نعمل لإيجاد النهضة بمحاكاة وتقليد الغرب واعتناق أفكاره ومبدأه، أو حين نتمنى عودة الإسلام بدون قيام الكتلة الحزبية، فإن ذلك كله لا يحقق الهدف، وهو من الاتكالية أو التواكلية، وهي عكس السببية، أي عدم ربط الأسباب بمسبباتها. فالسببية إذا هي ربط الأسباب المادية بمسبباتها المادية من أجل تحقيق قصد معين أو هدف معين بمعرفة جميع الأسباب المفضية إلى تحقيقه، ثم ربطها معا ربطا صحيحا، وعندها نقول إننا أخذنا بالأسباب، أي بقاعدة السببية.

وعند الحديث عن قاعدة السببية لا بد من الحديث عن الجانب الإنساني، والذي بواسطته فقط يمكن الوصول إلى الهدف المنشود، الذي نسعى لتحقيقه، وحتى تتحقق ثمرة العمل لا بد من وجود الإنسان ولا بد من القيام بالعمل المادي المؤدي إلى حصول الثمرة، فبدون الإنسان لا تحقق الأعمال، وبدون العمل لا

تحقق ثمرة. والجانب الإنساني في تحصيل ثمرة العمل محصور بالعقل والإرادة، وفعل العقل هو التقرير المبني على الفكر وفق قواعد معينة، والإرادة هي التصميم على إنجاز العمل مهما كان شاقا ومضنياً، والثبات على ذلك والاستمرار فيه.

فالأمور العقلية التي يجب توفرها لتحقيق ثمرة العمل هي:-

١- تحديد الهدف أو ثمرة العمل المرجوة بوضوح ودقة.

٢- معرفة جميع الأسباب المفضية لتحقيق ذلك الهدف.

٣- ربط الأسباب بمسبباتها ربطاً محكماً للوصول إلى الهدف وتحقيق ثمرة العمل.

٤- السير وفق قوانين وسنن الكون حين السعي لتحقيق الأهداف.

أما ما يتعلق بالإرادة فينحصر في ثلاثة أمور هي:-

١- توفر الإرادة وثباتها وبقاؤها على الدوام.

٢- توفر الإحساس بالحاجة إلى العمل وأهميته.

٣- موازنة الحوافز والطموحات لدى الإنسان بالقدرات والإمكانات.

فالعقل والإرادة لازمان لا يفترقان لتحقيق الأهداف، فمن أجل تحقيق هدف معين لا بد من توفر الإرادة لتحقيقه، ولا بد من معرفة جميع الأسباب المؤدية إلى تحقيقه، ثم ربطها فيه ربطاً محكماً، وعندها نقول أننا أخذنا بالسببية. والحقيقة أن البحث في السببية هو بحث في الوسائل والأساليب والطرق المادية وعلاقتها بالمقاصد والأهداف المادية، فالإنسان في حياته اليومية يستعمل الوسائل والأساليب والطرق المادية من أجل الوصول إلى مقاصده وأهدافه وبالتالي إلى غاياته، ومن استقراء هذه الوسائل والأساليب والطرق واستقراء علاقتها بالأهداف والمقاصد والغايات، نجد أن هناك علاقتين لا ثالثة لهما، الأولى هي علاقة السببية المجردة، فإذا أوصلت الوسيلة أو الأسلوب أو الطريقة إلى الهدف حتما بحيث لا يتحقق الهدف بغيرها نقول أن العلاقة القائمة بينهما هي علاقة سببية، والثانية إذا تحقق الهدف أحيانا ولم يتحقق أحيانا أخرى، كما أنه يتحقق بغير هذه الوسيلة، فإن العلاقة القائمة هي علاقة خاصة بملابسات خاصة وهي ما تسمى بالحالة. والمثال على هذا القول إن السكين مثلا سبب في القطع، فالإنسان حين استعمل السكين للقطع إنما استعمل الأداة أو الوسيلة التي توصل إلى القطع، أي استعمل السبب للوصول إلى المسبب، والتاجر حين يفتح متجرا بقصد الربح نجد أنه يربح أحيانا ويخسر أحيانا أخرى، فالتجارة لا تأتي بالمسبب وهو الربح بشكل حتمي وإنما قد تأتي به وقد يأتي بغيرها. فهذا المثال هو ما يسمى بالحالة. ومن هنا يتضح أن علاقة السببية القائمة بين الأشياء المادية في الحياة لا تتخلف إلا بمعجزة من الله، وهي لا تكون إلا للأنبياء والرسل. أما السببية القائمة في مظاهر الحياة الأخرى فهي تتخلف بفعل دائرة القضاء فيوقف فعلها. فالإنسان في حياته أثناء عمله لتحقيق أهدافه يصادف هاتين الحالتين فقط، وأن قيام الإنسان بالأعمال في الحالتين هو أخذ بقاعدة السببية، لأنه لا يجوز له أن يلاحظ فعل دائرة القضاء قبل أو حين القيام بالعمل إذ لا تظهر نتيجة الفعل إلا بعد وقوعه. أما الأسباب الكامنة وراء خروج الإنسان عن قاعدة السببية فهي كثيرة، منها ما يشمل جميع الناس، ومنها ما هو خاص بالمسلمين فقط. أما الأسباب العامة، فمنها ما يصادفه الإنسان من تحقيق بعض أهدافه دون أن يسعى لتحقيقها، مثل حصوله على ثروة لم يسع لها، بسبب الإرث مثلا، ومثل حصوله على النصر جراء ضعف اعترى الأعداء، ومنها ما يصادف الإنسان من ظروف وأحوال بفعل دائرة القضاء، تمنعه من تحقيق هدف طالما سعى

إليه، كأن يلمّ بطالب العلم مرض ليلة الامتحان. فمثل هذه الظروف تترك أثراً سلبياً في حياة الإنسان، فيضعف قيامه بتحقيق قاعدة السببية، بل قد تؤدي إلى الاتكالية أو التواكلية، ما يدعو الإنسان للتهاون في تحقيق قاعدة السببية، فيضعف الحافز لديه ويقل إنتاجه وتتراجع جهوده.

أما ما هو خاص بالمسلمين، فإن ما حصل في العصور الهابطة من خطأ لفهم معنى التوكل واختلاطه بمفهوم السببية، جراء سوء فهم حديث رسول الله ﷺ «اعقلها وتوكل»، وكذلك الخطأ في فهم معنى القدر، والكتابة في اللوح المحفوظ، وعلم الله، واختلاطه بمفهوم السببية، ومن سوء فهم مسألة القضاء والقدر؛ كل ذلك أدى إلى التهاون بالسببية وإلى الأخذ بالتواكلية. أما عن تأثير دائرة القضاء على تحقيق الأهداف سلباً أو إيجاباً، فإن الإسلام قد فصل بين العقيدة والحكم الشرعي، فطالما أن تحقيق الأهداف يتطلب أعمالا فهو متعلق بالحكم الشرعي ولا شأن للعقيدة به، أي أن الشارع طلب من المكلف الالتزام بالحكم الشرعي حين القيام بالعمل، فالعقيدة لا دخل لها بالعمل، ولا يجوز ملاحظتها أثناء القيام بالعمل، وأي خلط بين العقيدة والحكم الشرعي عند القيام بالعمل، يترك أثراً سلبياً على أداء الفعل، فإذا كانت السببية فرضاً فيجب تحقيقها بغض النظر عن تأثير دائرة القضاء. والمسلم حين يؤمن بأن القضاء من الله، فإن تأثير ذلك على إنجاز الأعمال يكون تأثيراً إيجابياً في كل الأحوال، فيدفعه إلى العمل لا إلى التواكل والكسل. أما حديث التوكل «اعقلها وتوكل» فمناسبته أن رجلاً جاء النبي ﷺ وأراد أن يترك ناقته فقال: أرسل ناقتي وأتوكل، فقال له النبي ﷺ «اعقلها وتوكل» فهو تعليم للأعرابي أن يعقل ناقته، أي يأخذ بالأسباب، ويفهمه أن التوكل لا ينفي الأخذ بالأسباب، وأمر له بالأخذ بالأسباب والتوكل.

ومسألة الأخذ بالأسباب هي مسألة أخرى غير التوكل، وأدلتها غير أدلة التوكل، فلا يصح أن تحشر معه أو تجعل قيداً له. فكما يجب على المسلمين الأخذ بالأسباب، كما ثبت بالأدلة الشرعية، كذلك يجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى، كما ثبت بالأدلة الشرعية، وكذلك فإن علم الله بأن الأمر الفلاني سيحصل لا يعني عدم الأخذ بالأسباب وربطها بالمسببات لأن علم الله لم ينكشف لأحد حتى يعلم الشيء، ولا يأخذ بأسبابه، فالكتابة في اللوح المحفوظ والقدر يستحيل أن تعرف من قبل الخلق حتى يحكموا على وقوع الشيء وعلى عدم وقوعه، فلا يصح أن يتركوا الأخذ بالأسباب بحجة القدر والكتابة، لأن ذلك ربط بمجهول، بل لا بد من الأخذ بالأسباب دون ربطها بالقدر بل دون التفكير به. أما الأدلة الشرعية التي تثبت أن السببية فرض فرضه الله تعالى مثل باقي الفروض كالجهاد والصلاة والزكاة وغيرها فهي قول رسول الله ﷺ: «اعقلها وتوكل» ووجه الاستدلال من الحديث هو أن صيغة الأمر في قوله اعقلها تفيد الطلب الجازم لأن حكم التوكل فرض وأدلته مستفيضة منها قوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞﴾، وقوله: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ۞﴾ وغيرها من الأدلة الكثيرة، فهذه الآيات قطعية الدلالة على وجوب التوكل على الله، فإنها أمر صريح بالتوكل على الله واقترنت بقرينة تدل على الجزم، وهي مدحه تعالى للمتوكلين في كونه يحبهم، وكذلك فإن واو العطف في حديث رسول الله المتقدم، مع ما تعنيه من الجمع المطلق، فإنها تفيد اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم. وعليه فإن الأمر في اعقلها طلب جازم أي أن السببية فرض فرضه الله تعالى. والدليل الآخر على فرضية السببية هو عمل رسول الله ﷺ في إنجازه لأعماله

وسعيه من أجل تحقيق أهدافه ومقاصده، فمِنْ تتبُّعِ حياة الرسول ﷺ اليومية، نجد أنه لم ينجز أعماله بدون ربط الأسباب بمسببات، بغض النظر عن كون هذه الأعمال تدخل في باب الفرض أو المندوب أو المباح، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعي التابعين من بعدهم لم ينجزوا أعمالهم بغير طريق السببية أي عن غير طريق ربط الأسباب بمسبباتها، والشارع لم يبين طريقاً آخر غير ذلك لإنجاز الأعمال في الحياة الدنيا. والدليل الثالث على وجوب السببية هو من باب وجوب طاعة الشارع، إذ إن طاعته فرض، وهي تتمثل في السعي والتحري لتحقيق ما طلب، فطاعة الشارع في تحقيق الفرض أو المندوب أو المباح فرض، فالامتثال لطلبه عن طريق السعي لتحقيق ما طلب واجب. أما ما يترتب على تحقيق العمل من ثواب أو عدمه فهو يعود للشارع يوم القيامة ولا شأن لقاعدة السببية في ذلك. فالامتثال لطلب الشارع من أجل القيام بالعمل يظهر من التحري فيما يوصل إلى هذا العمل، وعدم التحري لما يوصل إلى القيام بالعمل هو عدم امتثال لطلب الشارع، فالتحري عن ما يوصل إلى العمل واجب من باب وجوب طاعة أوامر الشارع. فطلب العمل طلب للتحري عن ما يوصل إلى هذا العمل، أي الأخذ بالأسباب وتحقيق قاعدة السببية، فمن الواجب أن نتحرى عن الأسباب المؤدية إلى القيام بالعمل، سواء ترتب على إنجازه ثواب في حالة الفرض والمندوب أولم يترتب في حالة المباح، فتحقيق السببية فرض بغض النظر عن حكم العمل. إذ أن حكم السببية شئ وحكم العمل من حيث الثواب والعقاب شئ آخر. فحكم السببية آت من وجوب حكم الطاعة، وحكم العمل آت من دليله، وهو أحد الأحكام الثلاثة: الفرض والمندوب والمباح، والفرق بين الفرض من جهة والمندوب والمباح من جهة أخرى هو أن إنجاز الفرض هو المطلوب إتمامه، وعدم إتمامه يترتب عليه إثم في حالة القدرة، أما المندوب والمباح فإن عدم إتمامه لا يترتب عليه إثم مع القدرة، ومن هنا كان طلب القيام بالعمل من الشارع هو طلب تحقيق العمل وإلا لا معنى لطلب الشارع. وطلب تحقيق العمل هو طلب تحقيق السببية. فإذا أراد المسلم تحقيق فرض فرضه الله عليه، يجب عليه أن يأخذ بقاعدة السببية عن طريق معرفة جميع الأسباب وربطها بمسبباتها ربطاً محكماً، فإذا قام بخلاف ذلك لا يكون قد أخذ بالسببية، أي يكون قد وقع في التواكلية، ويكون آثماً في تقصيره. وإذا أراد المسلم أن يقوم بالمندوب أو المباح، فعليه أن يسعى لتحقيق المندوب أو المباح عن طريق السببية أي بربط الأسباب بمسبباتها وإلا يكون آثماً.

ومن هنا يكون لزاماً على كل مؤمن يريد تحقيق هدف من الأهداف، أن يقرر ويعزم الأمر متسلحاً بالإيمان متوكلا على الله حق التوكل، وأن يعتقد أن الله سوف يساعده على تحقيق هذا الأمر، ثم يلتمس الأسباب ويربطها بمسبباتها ربطاً قوياً، ويمضي قدماً لا يصدّه عن تحقيق هذا الهدف أي خطر، ولا يقعده عنه بلاء أو ضرر، ولا تقف في وجهة العقبات، لأنه يؤمن أن ما قدره الله سيقع قطعاً، وأن ليس له إلا الأخذ بالأسباب، هذا ما كان عليه رسول الله ﷺ في كل أعماله فلم يطلب النصر في معركة من المعارك بدون إعداد السلاح، ولم يطلب تغيير المجتمع بدون التفاعل معه بالصراع الفكري الحاد، ولم يطلب الحكم بدون أهل النصرة، ولم يفتح مكة بدون إعداد الجيوش والاستعداد للقتال، ولم ينشر الإسلام بدون الجهاد، وهذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يوم اندفعوا في الفتوحات، ويوم خرجوا إلى العالم يحملون رسالة قدر لها أن تصحح مسار الزمان والإنسان، وتغير وجهة العالم ❑

سوق البترول وأسباب تدني الأسعار

في هذا البحث، نحاول أن نلقي الضوء على السياسات التي تتبعها الدول الصناعية بزعامة أميركا، تجاه أسواق البترول الدولية، والدوافع التي تنطلق من خلالها شركات البترول العملاقة، في تعاملها مع مورد ناضب غير قابل للتجديد، والأسباب التي جعلت من هذه الشركات تندفع بنهم نحو المناطق النفطية الأقل تكلفة على صعيد الإنتاج العالمي، والوقوف على الدور الفاعل الذي تمارسه وكالة الطاقة الدولية للتأثير على الأسعار. لعلنا نستطيع أن نساهم في إزالة بعض الغموض الذي يكتنف أسواق البترول العالمية. راجين من المولى سبحانه وتعالى السداد والتوفيق.

الحياة الاقتصادية إنما تسير بالطاقة، والبترول من أهم مصادر الطاقة، وعلى الرغم من محاولات وسائل الإعلام الغربية الهادفة إلى تهميش مكانة النفط عالميا، والترويج لبعض الدراسات المتفائلة بخصوص مورد الطاقة البديلة، فإنه لا يبدو في الأفق ما يوحي بانحسار أهمية النفط في المستقبل المنظور، بل على العكس من ذلك، فإن مؤشرات الاستهلاك العالمي للطاقة النفطية، والتوقعات المستقبلية عن تزايد الطلب العالمي على هذا المورد، واتجاهات الهبوط في الاحتياطي العالمي للنفط، تشير إلى تحول هذه المادة الخام، إلى سلعة نادرة تستحق أن تنال لقب الذهب الأسود، ومن المرجح أن تستمر كأهم مصدر على الإطلاق لتشغيل الآلة الصناعية في العالم.

ومما يعزز الدور المتعاظم للنفط الخام عالميا، خلال العقود القادمة، النجاحات المحدودة جدا للمحاولات الكثيرة الرامية إلى تقليص الاعتماد الكبير على النفط. فقد فشلت معظم التجارب الغربية الحديثة، في توفير مصادر بديلة من الطاقة المستمدة من القوة الشمسية، والطاقة النووية، وحتى الغاز الطبيعي، وفق معايير تنافسية وتجارية، سواء من حيث الاحتياطيات المتوفرة من هذه المصادر، أو تكاليفها الإنتاجية، أو تبعا لنسب المخاطر البشرية والبيئية الناجمة عن استخدامها على نطاق واسع. ومن هنا تأتي الأهمية المتعاظمة لمنطقة الخليج، اقتصاديا واستراتيجيا، إذ إن من يتحكم بهذا المورد الحيوي، سوف يتمكن من ممارسة تأثيرات مهمة على المستوى العالمي.

يعتبر عامل السعر من حيث تكاليف الإنتاج الصناعي، من أهم وأبرز دواعي استمرار الدور المتعاظم للنفط، بل ومنافسا قويا، حتى في ظل انتشار بدائل عملية للطاقة. ومع ذلك فإن الحقيقة التي لا بد من التوقف عندها، هي أن دول أوبك، لو قدمت البترول للعالم الصناعي بالمجان، فلن يوقف أو يبطئ الخطى في سبيل إيجاد بدائل للطاقة، ذلك أن الدول الصناعية المتقدمة، ليس من طبعها الركون إلى ما تأتي به الأقدار، ولذا أخذت هذه الدول منذ سبعينيات هذا القرن، بتوجيه متعمد من الولايات المتحدة، تعد العدة للتأقلم تدريجيا مع العيش في عالم من غير بترول، آخذة بعين الاعتبار الدراسات والنظريات القائلة بحتمية نضوب البترول، فقامت

بإجراء الدراسات والبحوث للتعرف على مصادر الطاقة البديلة، ومجالات استعمالاتها، وإمكانيات وتكاليف إنتاجها، ومدى القدرة على إحلال البدائل المختلفة، كي تضمن الانتقال لعصر ما بعد البترول، بشكل سلس ومأمون، لا يعرض اقتصادياتها للخطر، أو ارتفاع الأسعار في فترة الانتقال. ومع ذلك كله فإن هذه الدول، وقد استمرأت نهب ثروات الدول، وقيام نهضتها الصناعية على هذه الثروات، لا يبدو في سياساتها الحالية، ما يشير أو يوحي بضرورة تحولها إلى مصادر الطاقة البديلة، حتى في حال الاهتداء إليها، لتعارض هذا التحول مع مصالحها الاقتصادية، وأطماعها العالمية.

إن السياسات الوقائية التي تركز عليها تصرفات الدول الصناعية في تعاملها مع قضايا الطاقة العالمية، إنما تقوم على مبدأ (المصالح الذاتية) التي تندفع من خلالها لتحقيق أقصى منفعة ممكنة. والمصالح الذاتية لهذه الدول تقوم على سلامة تدفق النفط - شريان الحياة الاقتصادية - إلى مصانعها ومخازنها الاستراتيجية، وبأسعار متدنية، ومن هذا المنطلق لم تجد الدول الصناعية ما يمنعها من الانضمام إلى وكالة الطاقة الدولية، التي أنشأتها الولايات المتحدة، أو المشاركة معها في حرب الخليج الثانية، ونجد أن معظم هذه الدول تعقد مع الولايات المتحدة المؤتمرات الخاصة بالبيئة والمناخ، بقصد التقليل من قيمة النفط الذاتية، والضغط غير المباشر على الأسعار، ومن هنا يمكننا القول، إن الدول الصناعية الكبرى بزعامة أميركا، إنما تتبع تجاه قضايا الطاقة العالمية، سياسات وقائية واحدة، بغض النظر عن سياسات السيطرة والهيمنة، التي تتبعها بعض هذه الدول فيما بينها.

وأصل هذه السياسات التي تتبعها الدول الصناعية الكبرى، وتنطلق من ورائها شركات البترول، مستمدة في معظمها من نظرية: «الموارد الناضبة» للاقتصادي (هولتنج)، الذي خط معالمها قبل ما يزيد عن ستين سنة، حيث يوصي فيها: «بضرورة استخراج واستهلاك النفط ذي تكاليف الإنتاج المنخفضة أولا، والعمل على إيجاد بدائل عملية للطاقة»، ثم جاء في السبعينيات الاقتصادي (روبرت سولو) وطورها، ومن ثم نظرية: «تكنولوجيا مصدر الطاقة» في عام ١٩٧٣ للاقتصادي (نوردوس)، التي يحدد من خلالها مراحل نضوب البترول. وهذه النظرية كما يراها (نوردوس) تسير كالتالي: في المرحلة الأولى يتم استهلاك كل البترول المنخفض التكاليف، خلال الخمسين سنة القادمة، ثم تبدأ مرحلة استهلاك الفحم والبترول الجيري، على أن يتم الاحتفاظ ببترول الولايات المتحدة عالي التكاليف إلى الفترة ما بين ٢٠٧٠ - ٢١٢٠م، وفي نهاية هذه المرحلة يكون الاقتصاد العالمي قد دخل عصر نظرية نوردوس: تكنولوجيا مصدر الطاقة. وهذه النظريات المستحدثة تعتبر تطويرا وتفسيرا لنظرية (هولتنج)، وهي في مجملها، على اختلاف توجهاتها، توصي باستخراج واستهلاك البترول الأقل تكلفة على صعيد الإنتاج العالمي حتى ينضب، ثم الانتقال إلى البترول الأعلى كلفة فالأعلى، ريثما يتم إيجاد بدائل عملية للطاقة.

إن الخطط المدونة في وثائق وسجلات شركات البترول العالمية، تقضي باستثمار البترول الرخيص، وبالذات بترول الخليج أولا حتى النفاذ، ثم الانتقال إلى استثمار البترول في الأماكن الأعلى كلفة، وتشير الدراسات التي صدرت مع اندلاع أزمة أسعار النفط في العام ١٩٩٨، بأن متوسط تكاليف الإنتاج العالمي للنفط، بلغ ١١,٢٣ دولارا للبرميل الواحد، في حين تقدر بنحو دولار إلى دولارين في منطقة الشرق الأوسط. وما نشاهده من تحركات محمومة، من رؤساء شركات البترول العالمية، ووزراء الطاقة، وهم يجوبون منطقة الخليج، عارضين خدماتها واستثماراتها على دول المنطقة، لدليل واضح على مدى إصرار هذه

الشركات، ومن يقف خلفها من الدول الصناعية، على نهب واستنزاف ثروات المسلمين النفطية أولاً حتى تنضب.

لا أحد يتصور أن هناك حكومة ما على وجه الأرض، وهي ترى بعينيها، الشركات العالمية تستنزف بترولها بالكامل من غير أن تتدخل لإنقاذ بترولها من النفاد، أو على الأقل للحد من الزيادة الهائلة في الإنتاج. وقد أشارت التقديرات إلى أن الصين سوف تتصدر قائمة الدول المستوردة للنفط، وهو ما أكده وزير الدفاع الأميركي وليم كوهين في العام ١٩٩٧ لصحيفة (الهيرالد تريبيون) حين قال: «بأن الصين تتحول من دولة مصدرة للنفط إلى دولة مستوردة له». في حين تشير الدراسات أيضا إلى اعتماد الولايات المتحدة بشكل متزايد على الواردات النفطية، التي ارتفعت من ٣٦% عام ١٩٧٣ إلى ٦٥ % حاليا. وبالمقابل فإنه من المؤسف حقا أن نرى حكومات الدول الخليجية، وهي تعلن عن زيادة احتياطياتها النفطية كل عام عن العام الذي سبقه، همها في ذلك التسابق للحصول على حصة أعلى من الإنتاج عند توزيع الحصص، وبقيت تصدق كل ما يقال لها، عن وجود كميات ـ اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ـ من البترول في أراضيها، إلى أن أصبحت تعيش في أوهام بأنها تسبح بالفعل فوق بحر من البترول، لا يمكن أن يجف أو ينصب في يوم من الأيام. ما يدل على مدى تفاهة حكومات هذه الدول، وانعدام المسؤولية لديهم.

وتنفيذاً لنظرية (الموارد الناضبة)، أثارت الولايات المتحدة في العام ١٩٧٣ أزمة الطاقة العالمية، وعملت على تضخيمها من ناحية دولية، كي تضمن سير الدول الصناعية خلفها، وقامت بتكديس الأسلحة في منطقة الشرق الأوسط، تمهيدا لإشعال الحرائق في منطقة الخليج، وأطلقت المبادئ الخاصة بحماية منابع النفط، وشرعت في عام ١٩٧٤ بإنشاء وكالة الطاقة الدولية، كهيئة للدفاع عن مصالح الدول الصناعية المستهلكة للنفط، حيث جاء تأسيسها بتخطيط من وزير خارجيتها "هنري كيسنجر" مستغلا أزمة الطاقة، كذريعة لإنشاء هذه الوكالة، وفي العام ١٩٧٧، وبعد ضغوط من الولايات المتحدة، ثم اعتماد هذه الوكالة دوليا، والتوقيع على مبادئها الإثني عشر، وذلك من قبل وزراء خارجية الدول الصناعية، باستثناء فرنسا في ذلك الحين، ومن أبرز هذه المبادئ التي قامت عليها الوكالة، وشددت الولايات المتحدة على تنفيذها من قبل الدول الأعضاء ما يلي:

أولا:ـ ترشيد استهلاك الطاقة في هذه الدول.

ثانيا:ـ تحديد سقف استهلاكي لكل دولة عضو.

ثالثا:ـ التوجه نحو إيجاد بدائل عملية للطاقة.

رابعا:ـ إيجاد مخزون نفطي لكل دولة عضو بالوكالة لاستخدامه عند شح الإمداد النفطي.

أما الأهداف التي من أجلها أنشأت الولايات المتحدة وكالة الطاقة الدولية فيمكن تلخيصها في ثلاثة:

الأول: تحميل الدول الصناعية الأعضاء في الوكالة، القسط الأكبر من النفقات الخاصة بإجراء الأبحاث والتجارب لإيجاد بدائل عملية للطاقة.

الثاني: رصد الوكالة للاحتياطيات النفطية العالمية، وفي كل منطقة على حده، ومراقبة الزيادات التي تطرأ على الطلب العالمي للنفط.

الثالث: التحكم بآليات الأسعار العالمية للنفط، من خلال طرح المخزون النفطي الاستراتيجي الموجود لدى الدول الأعضاء، في الأسواق، بقصد الإخلال بمستويي العرض والطلب.

وعليه فيمكن ملاحظة طبيعة هذه الأهداف، من خلال الأساليب التي اتبعتها هذه الوكالة مؤخرا، وأدت إلى انهيار أسعار البترول في العام ١٩٩٨. ومن هذه الأساليب على سبيل المثال، إغفال الوكالة لكميات كبيرة من النفط تم استهلاكها في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٩٧، بينما بقيت هذه الكميات ضمن إحصاءات الفائض

في السوق العالمية. وفي هذا الإطار صرحت جمعية البترول الأمريكية المستقلة: «إن توقعات الوكالة أغفلت ١,٦ مليون برميل نفط من الإنتاج العالمي تم استهلاكها يومياً بينما بقيت ضمن الفائض العالمي». ومن هذه الأساليب أيضا وأخطرها، ذلك الإعلان الذي تبعه الانهيار الكبير في الأسعار أوائل العام ١٩٩٨، حين أعلنت الوكالة الدولية للطاقة: «إن بعض الدول الصناعية التي لديها مخزون كبير من البترول، بدأت تتخلص من مخزونها عن طريق طرح جزء كبير منه في المزاد العلني»، وقد استقبل هذا الإعلان بترحاب من دول منظمة "أوبك"، وفسر في حينه على أنه خطوة إيجابية لتجريد الدول الصناعية من سلاح فعال، سيمكّن أوبك من استعادة السيطرة على الاضطراب الحاصل في أسواق البترول الدولية. بينما الذي خفي على دول أوبك، ولم تعلنه الوكالة، هو إصدار تعليماتها، أي تعليمات الوكالة، للدول الصناعية الأعضاء في الوكالة، بالتوقف عن شراء البترول لمدة ثلاثة أشهر متتالية، واستخدام المخزون النفطي المتوفر لديها خلال هذه الفترة، الأمر الذي أدى إلى وجود فائض كبير من النفط في السوق الدولية، أدى إلى انهيار الأسعار، لتصل إلى أدنى مستوى لها منذ الحرب العالمية الثانية.

إن لجوء الدول الصناعية، وخاصة الولايات المتحدة، إلى استخدام المخزون النفطي المتوفر لديها بين الحين والآخر، بهدف الضغط على الأسعار، وبالتالي الضغط على اقتصاديات الدول المصدرة للنفط غير الصناعية، يرينا مدى إصرار هذه الدول على التحكم بأسباب ومصادر الطاقة العالمية، وتعريض عائدات الدول المنتجة للنفط، وخصوصا منطقة الخليج للانهيار والخطر الدائم، وذلك لحملها على فتح أسواقها واحتياطياتها النفطية، أمام الاستثمارات الأجنبية، وللحيلولة دون انعتاقها من التبعية الاقتصادية للدول الغنية.

أما عن نظام تسعير البترول الجائر، المرتبط بالعديد من المؤشرات الدولية، فإن نظام مؤشر برنت «نفط بحر الشمال» للأسعار، يعتبر من أعرق هذه المؤشرات، وأوسعها انتشاراً على المستوى الدولي. ونظام مؤشر برنت هذا نظام شاذ كغيره من المؤشرات لا علاقة له حتى بعوامل العرض والطلب الطبيعية، وأسعار هذا المؤشر اليومية ترتبط بشيء لا وجود له يسمى نظام (برميل الورق)، أو (البرميل الجاف) يتم التداول به في سوق الأوراق المالية في لندن، يسمى (الفيوتشرز ماركت)، فعدد البراميل النفطية الجافة التي يتم تداولها في هذا السوق، تتجاوز أضعاف ما ينتجه العالم يوميا من جميع أنواع البترول، وهذه الزيادة في التداول اليومي تسمى: البراميل الجافة.

والسؤال هو: كيف يتحدد سعر برميل النفط العالمي بحسب نظام مؤشر برنت؟

والجواب هو: إن الوظيفة الأولى للسوق المالي (الفيوتشرز ماركت) هي تسويق تقلبات أسعار البترول بين المضاربين أو بالأحرى بين (هواة المقامرة) في السوق المالي، وليس بيع وشراء البترول الحقيقي، فالمضارب الذي يريد شراء مليون برميل جاف، ليس مطلوبا منه أن يدفع سعر البرميل الحقيقي كاملاً، بل كل المطلوب منه أن يدفع مقدار تقلبات الأسعار بين السعر الآني والسعر المتوقع في وقت استحقاق الأوراق المالية الآجلة، فمثلا لو كان سعر برميل النفط الحقيقي الآني عشرة دولارات، فما على المضارب إلا أن ينظر في تقلبات الأسعار الآجلة، فإن توقع زيادة في السعر قدرها نصف دولار بعد أسبوعين من التوقع، كان سعر برميل النفط الجاف في حقه نصف دولار، ثم يقوم بشراء مليون برميل جاف بسعر قدره نصف دولار لكل برميل. ومن ثم ينتظر إعلان النتائج في يوم الاستحقاق الآجل، فإن كانت تقلبات الأسعار في صالحه، يتضاعف سعر المليون برميل من نصف دولار إلى دولار واحد لكل برميل، وإن كانت تقلبات الأسعار الآجلة في غير صالحه يخسر

المليون برميل، وتصبح الأوراق المالية بعد تاريخ الاستحقاق لاغية ولا قيمة لها على الإطلاق.

وسعر مؤشر برنت اليومي، يتحدد بناء على المناورات التي يطلقها كبار المضاربين في السوق المالي، للتأثير على سير تقلبات الأسعار الخاصة بالبراميل الجافة، وبحسب هذه المناورات يتحدد سعر مؤشر برنت اليومي، انخفاضا وارتفاعا، ومن ثم ينتقل هذا السعر إلى أسعار البراميل الحقيقية، التي تحمل وصف مزيج برنت الممتاز، وفي وقت واحد إلى معظم أرجاء العالم. بهذه الكيفية الشاذة والخبيثة، يتحدد سعر أهم سلعة تقوم عليها الحياة الاقتصادية والصناعات العالمية، ومن هذا السوق ـ كازينو لندن ـ تتحكم بريطانيا في أسعار وأسواق النفط العالمية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن ارتباط ٦٠ مليون برميل من النفط تنتج يوميا في العالم بسعر برنت (نفط بحر الشمال)، الذي يقال إنه في حدود ٨٠٠ ألف برميل يوميا، يثير الشكوك لدى العديد من الخبراء الاقتصاديين في العالم، فبترول بحر الشمال هذا منذ ظهوره في الصورة الدولية، وهو يشكل لغزا لدى هؤلاء الخبراء، سواء من حيث الاحتياطي الموجود فيه، أو من حيث كمية الإنتاج، أو من حيث طريقة تسويقه، أو حتى مدى صدق وصفه بمزيج برنت الممتاز.

والأغرب من هذا كله، علاقة الدول المصدرة للنفط بالدول المستوردة له، فالدول المصدرة للنفط، لا تعلم مسبقا السعر الذي سيتم بموجبه تسديد أثمان نفطها المصدر، والنظام المتبع في هذه الحالة مأخوذ إلى حد كبير من الكيفية التي يتم بموجبها معرفة تقلبات الأسعار الآجلة في السوق المالي الخاص بالبراميل الجافة. وبمعنى آخر لا يتأتى للدولة المنتجة للنفط والمصدرة له معرفة السعر النهائي الذي سيتم بموجبه تسديد أثمان بترولها المصدر، إلا في يوم الاستحقاق الآجل، أي يوم تسليم البترول إلى مخازن الدول المستوردة. فلو قامت إحدى شركات البترول العالمية، أو إحدى الدول الصناعية بشراء مليون برميل من النفط من إحدى الدول المنتجة، وكان سعر برميل النفط يوم إبرام العقد ١٥ دولارا للبرميل الواحد، وكان السعر يوم وصول البترول إلى مخازن الدولة المستوردة، قد طرأ عليه انخفاض قدره ٥ دولارات، عندها يكون السعر النهائي لمجمل الصفقة ١٠ دولارات فقط لكل برميل. وهذه الكيفية يطلق عليها في نشرات المؤشرات الدولية، بـ يوم التسليم، فيقال تسليم شهر تموز بسعر كذا، وتسليم شهر آب بسعر كذا، وبهذا يكون تسديد أثمان البترول المصدر، إنما يخضع لتقلبات الأسعار أيضا، وهو مخالف لأحكام الإسلام المتعلقة بالبيع والشراء لما فيه من جهالة.

وهذه السياسات التي تتبناها الدول الصناعية الكبرى، وتتبعها تجاه قضايا الطاقة النفطية، هي التي كانت فاعلة في اضطراب أسواق البترول الدولية، وانهيار الأسعار في عام ١٩٩٨، وهو ما أصاب اقتصاديات العديد من الدول المنتجة للنفط، وخاصة الخليجية منها، بأضرار اقتصادية بالغة وأزمات مالية خانقة، الأمر الذي يمكن الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة، من التحكم بمصادر الطاقة وأسواقها الدولية. وإذا أضفنا إلى ما تقدم، ارتفاع أسعار السلع العالمية والمواد الخام المختلفة، بنسب تتراوح ما بين ١٠٠%ـ٣٠٠% منذ العام ١٩٨٠ إلى يومنا الحاضر، فإن ثروات المسلمين النفطية تباع إلى العالم الصناعي المتقدم بالمجان، وإن ثروات المسلمين تتآكل وهي في باطن الأرض.

ولا خلاص للمسلمين من هذه الدوامة الخانقة، إلا أن يستلموا بالكامل شؤون نفطهم، من حيث التنقيب، والاستخراج، والتكرير، والتصنيع، والتسويق، والتسعير، والشحن، وأن يكون ذلك مرتبطا بمصالح المسلمين الكبرى، ومحكوما بسياسة المسلمين الخارجية، المرتبطة بنشر الإسلام، وإبراز عظمة الإسلام والمسلمين ودولتهم، وهذا ما لا تقدر عليه إلا دولة الخلافة، عجل الله بقيامها الذي طال انتظاره ❑

مسرى النبي (ﷺ)

يصادف يوم السابع والعشرين من شهر رجب ذكرى الإسراء والمعراج، الذي أكرم الله به نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وهذه صرخة أحد الشعراء المؤمنين المخلصين يتفجع فيها على ما آل إليه مسرى رسول الله ﷺ، وما صار عليه المسلمون من ذل وهوان.

فالقدس، يعيث فيه اليهود فساداً، يخرجون أهله من بيوتهم، ويهدمون منازلهم، ويحاصرونه بالمستوطنات والمستوطنين، من داخله ومن حوله، ويدنسون مسجده المبارك وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وإذ تأذن ربُّك ليبعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾، والمسلمون في جميع الأصقاع، أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، ويجري تقتيلهم وتشريدهم، واستباحة أعراضهم وأموالهم، ولكنهم يتطلعون بشوق إلى يوم ترفرف فيه راية الإسلام، ويعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك والنفاق وأهله، وما ذلك على الله بعزيز.

مسرى النبي (ﷺ)

مَسْرَاكَ يا سَيِّدي ضَاعَتْ مَغَانيهِ ... وَجَرَّعُونَا كُؤُوسَ الذُّلِّ في التِّيهِ

مَنْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ لا يَضِلُّ بِهِ ... مَنْ يَلْتَزِمْهُ، فَبَاعُوا كُلَّ مَا فِيهِ

مَسْرَاكَ في زَمَنِ الأَقْطَابِ مُكْتَئِبٌ ... مُقَطَّبُ الوَجْهِ يَشْكُو مِنْ مَآسِيهِ

مَسْرَاكَ، ما أَحَدٌ مِمَّنْ يقُومُ بِنَا ... يَهْتَمُّ يَا سَيِّدِي مِمَّا يُقَاسِيهِ

مَسْرَاكَ كانَ مَنيعاً مَعْ خَلِيفَتِنا «عَبْدُ ... وَاليوْمَ في زَمَنِ الأَقْنَانِ نَطْوِيهِ

الحَمِيدِ» الذي قَدْ صَانَ سَاحَتَنا ... كَمْ جَرَّحُوهُ وَكَمْ خَانُوا أَمَانِيهِ

قامُوا لِخَلْعِ الذِي أَعْطَى لأُمَّتِهِ ... خَيْرَ العَطَاءِ دِفَاعَاً عَنْ مَبَادِيهِ

لَمْ يَقْدُرُوهُ علَى أَبْعَادِ مَوْقِفِهِ ... مَعَ الذِي جَاءَهُ بِالمَالِ يُغْرِيهِ

كي يدخل البعض من أبناء ملته ... لأَرْضِ مَنْ قَدْ حَبَاهُ الفَضْلَ بَارِيهِ

بل ناهضوه على الإخلاص كي يهنوا ... أَمَامَ تِيهِ الذِي يُبْدِي تَعَالِيهِ

«باراك» يلزمهم في كل آونة ... بِكُلِّ أَمْرٍ عَلَى المَكْشُوفِ يُمْلِيهِ

فهم يساقون للتطبيع كي يصلوا ... لِحُلْمِ صُهْيُونَ في أَقْصَى مَرَامِيهِ

من الفرات لوادي النيل غايته ... فَنَوَّلُوهُ الذي تَرْجُو أَيَادِيهِ

هَا نَحْنُ مَسْرَى نَبـــيِّ اللهِ نَعْرِضُـــهُ ... لِسُـــبَّةِ الدَّهْـــرِ قُرْبَانَـــاً نُؤَدِّيـــــهِ
فَالقَابِضُونَ عَلى الأَقْطَارِ قَدْ صَدَفُـوا ... عَنْهُ وَعَمَّـــنْ تَبَقَّـــى مِـــنْ أَهَالِيـــهِ
تَاللهِ مَا فَقَـــهُوا فِي الدِّيـــنِ مَسْـــأَلَةً ... وَلا اسْتَنَارُوا بِفَتْوَى مِـــنْ فَتَاوِيـــهِ
وَلا أَصَاخُوا إِلَى صَيْحَاتِ مَسْـجِدِنَا ... وَلا أَحَسُّـــوا بِمَـــا تُبْـــدِي لَيَالِيـــهِ
لَمْ يَفْهَمُوا «لِصَلاحِ الدِّينِ» مَطْلَبَـــهُ ... بَلْ أَسْلَمُوهُ وَكَـــانُوا مِـــنْ أَعَادِيـــهِ
مَنْ يَمْلِكُونَ جُيُوشَاً لا عِدَادَ لَـــــهَا ... سَدُّوا الثُّغُـــورَ وَزَادُوا فِي دَوَاهِيـــهِ
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ نُكِبْنَـــا مِـــنْ إِمَارَتِـــهِ ... أَوْ مِنْ وَلِـــيٍّ عَجِبْنَـــا مَـــنْ يُوَلِّيـــهِ
أَوْ مِنْ رَئِيسٍ صُدِمْنَا مِـــنْ رِئَاسَـــتِهِ ... حُبُّ التَّحَكُّمِ، حُبَّ القُدْسِ يُنْسِـــيهِ
أَوْ مِنْ مُطِيعٍ لإِمْلاءَاتِ مُغْتَصِـــبٍ ... سُمُّ الأَفَاعِي عَنِ الأَنْظَـــارِ يُخْفِيـــهِ

❁ ❁ ❁

كَيْفَ السَّبِيلُ لِعَيْشٍ فِي حِمَى لُكَـــعٍ ... إِنْ كَانَ يَا صَاحِ مَا يُرْدِيكَ يُرْضِيـــهِ!
إِنْ جَاءَ لِلْحُكْمِ يَبْقَى فَوْقَ طَاقَتِنَـــا ... فَإِنْ تَمَكَّـــنَ هَـــاتُوا مَـــنْ يُنَحِّيـــهِ
شَاهَتْ وجُوهٌ لَهَا الشَّيْطَانُ مُفْتَتِـــنٌ ... قَدْ صَادَقَتْهُ وَمَـــا كَـــانَتْ تُعَادِيـــهِ
يَا سَيِّدِي، المَسْجِدُ المَأْسُورُ مُنْتَظِـــرٌ ... فَكَّ الإِسَارِ وَلَكِـــنْ مَـــنْ يُفَدِّيـــهِ؟
فَالْقَوْمُ يَا سَيِّدِي ضَلُّوا وَمَا رَشَـــدُوا ... فَهُمْ لَـــهُ سَـــلَفاً صَـــاغُوا مَرَاثِيـــهِ
مَنْ حَارَبُوا ثَوْرَةَ «القَسَّامِ» مَا انْتَبَهُوا ... إِلا لإِجْهَاضِ مَنْ يُحْيُـــونَ مَاضِيـــهِ
أَبْنَاءُ حِطِّينَ وَاليَرْمُوكِ قَدْ حُبِسُـــوا ... عَنِ الجِهَادِ، وَعَنْ إِمْـــدَادِ أَهْلِيـــهِ
إِنَّ الطَّوَاغِيـــتَ لا هَـــمٌّ يَهُمُّـــهُمُ ... بَـــاعُوا مَعَانِيـــهِ أَمْ بَـــاعُوا مَبَانِيـــهِ
سَلْهُ وَسَلْهُمْ وَسَلْ مَنْ يَسْرَحُونَ بِـــهِ ... مَنْ كَانَ يَحْمِيهِ .. حَقَّاً كَانَ يَحْمِيـــهِ؟!
فَمَنْ تَنَـــادَوْا إِلى التَّطْبِيـــعِ إِمَّعَـــةٌ ... لِلْغَرْبِ قَدْ نَفَّذُوا مَا كَـــانَ يَقْضِيـــهِ
لا يَعْمَلُونَ عَلَى إِرْجَاعِ مَنْ طُـــرِدُوا ... بَلْ يَعْمَلُـــونَ عَلَى إِخْرَاجِ مَنْ فِيـــهِ.

عبد الله المهاجر ــ بيروت

كلمة أخيرة

نقيق الضفادع وسراب يسار الشرق

يعيش اليساريون في بلاد المسلمين لحظات الاحتضار، وهذا الكلام ليس من قبيل المبالغة والتهويل، وإنما هو وصف لواقعهم البالغ الدقة، فبعد أن ذهب هذا اليسار إلى الشيوعية والاشتراكية والناس راجعون عنها، فقد طلّقها أهلها وداسوها بأقدامهم، لم يصدّق هؤلاء بأن نجمهم ونجم أسيادهم أَفَلَ إلى غير رجعة، فحاولوا التشبث بأهدابها لعل فيها الترياق، وعبثاً يحاولون، فما مضى قد مضى، ولن يُبعث ماركس وستالين ولينين من مرقدهم.

لقد صدقوا أنفسهم بأنهم أوصياء على تراث لينين وستالين فإذا بهم يلتصقون بفنان وأغنية لعلها تعيد لهم أمجاد الماضي. إن من يجعل من شخص وأغنية قضية هو أتفه من المبدأ الذي يحمله، وإذا كانوا يحلمون بعودة أمجادهم على صهوة فنان فهم واهمون، فهذه البلاد تعيش حالة نهوض يتنامى يوماً بعد يوم، لكن أبصارهم وبصائرهم عمياء لا ترى الحقيقة لأن الأحلام أسكرتهم. وسيأتي اليوم الذي ينتصب فيه المارد العملاق فتختفي خفافيش الظلام، ويختفي معها نقيق الضفادع في المستنقع الآسن، فهذا المستنقع الذي يعيشون فيه لن يدوم، لأن العمل جارٍ على قدم وساق لتفريغ الماء الآسن، وتجفيف المستنقعات بإذن الله.

هذه البلاد لم تعدم الرجال حتى يظن هؤلاء أن الساحة خَلَت لهم ولأمثالهم من الأقلام المأجورة التي تتطاول على المقدسات وعلى الأنبياء، فالصراع طويل والأيام بيننا، ومن يعش سوف يرى، ولو كانوا ينظرون لأبعد من أنوفهم لما اصطدموا بالجبال الشاهقة فهي ليست لهم، ولا هُمْ لها، وعليهم أن يدركوا حجمهم الطبيعي ولا يكونوا «كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد».

وإذا أرادوا مجرد مثال عن نوعية الرجال الذين سيواجهون الكفر وأعوانه، فهو: فئة قليلة في الشيشان، وقفوا في وجه الدب الروسي الهرم، منذ بداية التسعينيات وما زالوا، فما بالهم بأمة المليار وربع إذا انتفضت كلها في وجه المستكبرين، والانتفاضة قادمة لا محالة بإذن الله الواحد الأحد، وما ذلك على الله بعزيز ❑

الشيشان لامست أسماعهم
لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

- الشيشان من الشعوب القوقازية التي ترتبط مع الأتراك بروابط العرق واللغة، وترتبط مع بـــاقي المسلمين برابطة المبدأ الإسلامي، وتشتمل القوقاز على مناطق جورجيا وأرمينيا وأذربيجان وبــلاد الشركس والشيشان والأنجوش وداغستان وأوسيتا.
- دخل الإسلام بلاد القوقاز في وقت مبكر زمن الخليفة عثمان بن عفــان رضــي الله عنــه أي في النصف الأول من القرن الأول الهجري. وفي زمن السلاجقة الأتراك ازداد امتداد الإســـلام إلى عمق الأراضي القوقازية. وفي زمن الدولة العثمانية أصبحت كامل بلاد القوقاز تحت حكم الدولة الإسلامية، دولة الخلافة.
- إن هذه البلاد هي بلاد إسلامية، والروس هم محتلون أو مستعمرون لها، منذ ضعفـــت الدولــة العثمانية وطمعت فيها روسيا وبريطانيا وفرنسا، فاحتلت روسيا بعض الأجزاء واحتلت بريطانيــا وفرنسا أجزاء أخرى. لكن بريطانيا وفرنسا خرجتا من الأقطار التي وقعت تحت احتلالهما، أمــا روسيا فبقيت حتى الآن.
- إذن قضية الشيشان وباقي أجزاء القوقاز ليست كونها جزءا من الاتحاد الروسي يريد الانفصـــال والاستقلال عنه، بل هي جزء من البلاد الإسلامية وقع تحت الاحتلال والاستعمار ويريد التحــرر والانعتاق، وهذا حق له وواجب عليه، ولكن روسيا تكذب على العالم وتقلب الحقائق وتزور التاريخ.
- مسلمو الشيشان يقصفون بالطائرات الروسية العدوة منذ أسابيع ويسقط العشـــرات والمئــات، وباقي المسلمين يكتفون بمتابعة الأخبار فقط كالجسد المشلول، متناسين حديث الرسول ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســد بالسهر والحمى» [صحيح مسلم] وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشــد بعضــه بعضــا» [صحيح مسلم].
- لم يقم المسلمون بأبسط الأعمال ولا بأضعف الإيمان، فلم يتظاهروا مطالبين بطرد سفير روســـيا وقطع العلاقات معها، بل لم يقوموا بأبسط من ذلك وهو الضغط على من انتخبوهم في البرلمانــلت المصطنعة برفع مذكرة استنكار أو احتجاج، أو وقوف عشرة أشخاص يتقدمهم «نائب إســلامي» أو وزير أو ممن يدعون تطبيق الإسلام أمام سفارة من سفارات روسيا من ماليزيا إلى المغرب مرورا بباكستان وإيران والحجاز والسودان، وغيرها من البلدان التي تضج بصراخ تطبيق الإسلام والحكم به. اللهم إلا ما كان من شعب اليمن المسلم، الذي تظاهر دعما لإخوانه الشيشـــان واســـتنكارا للعدوان الروسي عليه. ﴿والله غالب على أمره﴾ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ۞﴾ ❑